مقدمة

في فقه اللغة العربية

جمع وترتيب
الدكتور. عمر عبد الله كامل

المحتويات

فقه اللغة عند الأوائل
مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس
مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي
كتب فقه اللغة عند العرب
كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس
معجم مقاييس اللغة
كتاب الخصائص لابن جني
المزهر في علوم اللغة للسيوطي
فقه اللغة وسر العربية للثعالبي
المخصص لابن سيده
وسائل الاتصال غير الكلامية
أنظمة الاتصال عند الحيوانات والحشرات
وسائل الاتصال عند الحيوان
الفرق بين اللغة الإنسانية ووسائل الاتصال عند الحيوان
استخدام الصوت وسيلة للاتصال بدلاً من الإشارة وغيرها
تعريف اللغة
سمات وخصائص اللغة الإنسانية
اللغة والكلام
الكفاية والأداء
الفرق بين الجملة والتعبير
وظائف اللغة
بداية اللغة
نظريات بداية اللغة

١- نظرية الأصل الإلهي (التوقيفية)

٢- نظرية الاصطلاح

الجمع بين الرأي التوقيفي والاصطلاح

٣- النظرية الطبيعية

اللغات السامية

الاختلافات بين العربية والسامية الأم

الاشتقاق

أصل المشتقات

أنواع الاشتقاق

الجذر

القلب اللغوي والاشتقاق التقليبي

الإبدال

الإبدال اللغوي القياسي

الاشتقاق الإبدالي

النحت

ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد في العربية

الـــتـــرادف

الاختلاف حول وجود الترادف في اللغة

أسباب الترادف

الاشـــتـــراك الـــلـــفـــظـــي

الأضداد

الاختلاف حول الأضداد

الاختلاف حول أسباب الأضداد في اللغة

ظواهر لهجية عربية قديمة

الاستنطاء

التضجع

التلتلة

الرتة

الشَّنشنة

الطُّمْطُمانيَّة

العَجْعَجَة

العَنْعَنة

الفَحفَحة

القطعة

الكَسْكَسة

الكشكشة

الوتم

الوكْم

الوهْم

أفصح العرب

لغة القرآن الكريم

الدلالة عنـــد اللغويين

أولا : دلالة اللفظ على المعنى :

- مناسبة حروف العربية لمعانيها
- بين الدلالة الذاتية والدلالة المكتسبة

ثانيا : أنواع الدلالات عند اللغويين

فقه اللغة عند الأوائل

إن أول من استخدم اصطلاح فقه اللغة كان ابن فارس (ت ٣٩٥ هـــ) في عنوان كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها). ثم نصادف هذا الاصطلاح بعد ذلك في عنوان كتاب الثعالبي: (فقه اللغة وأسرار العربية)). ولكننا نجد مفهوم فقه اللغة مختلفا عند الرجلين.

مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس

يتبين المطلع على كتاب ابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة) أنه ينظر إلى هذا النوع من التأليف على أنه دراسة القوانين العامة التي تنتظم اللغة في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية.

مفهوم فقه اللغة عند الثعالبي:

الثعالبي يرى أنّ فقه اللغة علم خاص بفقه وفهم المفردات، وتمييز مجالاتها واستعمالاتها الخاصة والاهتمام بالفروق الدقيقة بين معانيها. وقد ترجم هذه الفكرة عنه بشكل واضح ابن خلدون في مقدمته حيث قال: "ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب. واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه (فقه اللغة).

كتب فقه اللغة عند العرب

كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس

موضوعات فقة اللغة في كتاب الصاحبي في فقه اللغة:

نجد في الكتاب عدداً من الموضوعات عن اللغة وطبيعتها، ثم إن هناك مسائل عن أصوات اللغة وعددا من الأبواب عن الصرف وعن البلاغة ومسائل في الدلالة، وموضوعات في الأسلوب، والاختلاف حول نشأة اللغة. ومن الموضوعات المهمة في فقه اللغة التي نصادفها في كتاب (الصاحبي) ما يلي:

(أ) (باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح)

وفيه يحتج ابن فارس لنظرية التوقيف التي تقول إن اللغة توقيف وتعليم من الله عز وجل .

(ب) اختلاف لغات العرب. في هذا الباب أورد ابن فارس وجوه الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة.

(جـــ) باب (القول فِي اللغة الَّتِي بِهَا نزل القرآن، وأنه لَيْسَ فِي كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب)

(د) باب (القول فِي مأخذ اللغة)

تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم عَلَى مَرّ من الأوقات. وتؤخذ تلقُّناً من ملقّن. وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون.

(هـــ) باب القول فِي الاحتجاج باللغة العربية

لغةُ العرب يحتج بِهَا فيما اختلفُ فيه، إِذَا كَانَ "التنازع في اسم أو صفة أو شيء ومما تستعمله العرب من سننها في حقيقة ومجاز، أو ما أشبه ذلك مما يجيء في كتابنا هذا إن شاءَ الله.

(و) باب (القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟)

(ز) باب (مراتب الكلام فِي وُضوحه وإشكاله)

(ح) باب (الأسماء كَيْفَ تقع عَلَى المسميات)

(ط) باب (النحت)

معجم مقاييس اللغة

لأبن فارس كتاب آخر نادر في موضوعة وقيّم في مادته هو (معجم مقاييس اللغة)، فهو معجم فريد في بابه ، لا يشبهه في تناول المفردات إلا كتاب (مفردات غريب القرآن) للأصفهاني، إلا أن الأخير خاص بمفردات القرآن الكريم لا يتعداها، وأما المقاييس فقد تناول معظم مفردات اللغة. وقد بُنـــي معجم مقاييس اللغة على فكرتين تُعدان من أهم موضوعات فقه اللغة:

(١) إن لمفردات العربية مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها. وهذه الفكرة ذكرها ابن فارس أيضا في الصاحبي في باب (القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض) حيث قال: "أجمع أهل اللغة إلا من شذ عنهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض.

(٢) والفكرة الثانية هي رأيه في أصل ما فوق الرباعي، وقد ذكر ذلك في الصاحبي عندما قال: "مذهبنا فِي أنّ الأشياء الزائدة عَلَى ثلاثة أحرف أكثرها منحوت.

اعلم أنّ للرُّباعيّ والخُماسيّ مذهباً في القياس، يَستنبِطه النَّظرُ الدَّقيق. وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوتٌ، ومعنى النَّحت أن تُؤخَذَ كلمتان وتُنْحَتَ منهما كلمةٌ تكون آخذةً منهما جميعاً بحَظَ. والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حَيْعَلَ الرَّجُل، إذا قالَ حَيَّ عَلى.

ومن الشيءِ الذي كأنَّه متَّفَقٌ عليه قولهم عَبْشَمّى من عبد شمس.

فعلى هذا الأصل بَنَيْنَا ما ذكرناه من مقاييس الرُّباعي، فنقول: إنَّ ذلك على ضربين: أحدهما المنحوت الذي ذكرناه، والضَّرْب الآخر (الموضوع) وضعاً لا مجالَ له في طُرق القياس، وسنبيِّن ذلك بعَون الله.

كتاب الخصائص لابن جني

يبين ابن جني غرضه من تأليف هذا الكتاب قائلا: "ذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه. فقد أراد أن يطبق منهج التعليل والقياس الذي اعتمده الأصوليون والفقهاء في استنباط الأحكام من النصوص على النظر في اللغة.

ونجده في (باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية) يقارن بين القياس عند اللغويين من جهة وعند الفقهاء والكلاميين من جهة أخرى، فيقول: "اعلم أن علل النحويين وأعنى بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور والصلاة والطلاق وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله ...

موضوعات فقه اللغة في كتاب الخصائص

– **تعريف اللغة** : أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

– **مبدأ اللغات** : (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح).

"هذا موضع محوج إلى فضل تأمل." غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة. قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني

وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ... فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومؤوا إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، ثم ذكر رأي القائلين بالتوقيف وحججهم.

"وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل.

– باب في الاشتقاق الأكبر:

وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب " س ل م " فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم: اللديغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.

فمن ذلك تقليب " ج ب ر " فهي أين وقعت "للقوة والشدة."

منها جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره. ومنها رجل مجرب إذا جرسته الأمور ونجذته فقويت منته واشتدت شكيمته. ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذى.

ومنها الأبجر والبجرة وهو القوي السرة.

ومنه البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به وكذلك البَرج لنقاء بياض العين وصفاء سوادها هو قوة أمرها وأنه ليس بلون مستضعف

ومنها رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره. ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة وهو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها.

ومنها الرباجي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله قال: وتلقاه رباجيا فخورا تأويله أنه يعظم نفسه ويقوي أمره.

واعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة. بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتمسا.

– إمساس الألفاظ أشباه المعاني

يقصد ابن جني بعبارة (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) محاكاة الألفاظ لمعانيها. وقد بين أنواع هذه المحاكاة:

(أ) محاكاة الصوت: من ذلك تسميتهم الأشياء بأصواتها كالخازباز لصوته والبط لصوته والواق للصرد لصوته وغاق للغراب لصوته وحنين الرعد.

(ب) محاكاة طبيعة الأحداث والأشياء: يقول: كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. من ذلك قولهم: خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

(جـــ) محاكاة الحركة: قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزان والغلبان والغثيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثلاه. وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والصعصعة والجرجرة والقرقرة.

(د) محاكاة قوة الأحداث أو كثرتها: ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسّر وقطّع وفتّح وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما.

(هـــ) محاكاة ترتيب الحدث: وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب. وذلك قولهم: (بحث). فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض والثاء للنفث والبث للتراب. ومن ذلك قولهم: شد الحبل ونحوه. فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ثم يليه إحكام الشد والجذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ولاسيما وهي مدغمة فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها.

– تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني. وهذا باب واسع.

من ذلك قول الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز.

ومنه العسف والأسف والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها والهمزة أقوى من العين كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين.

المزهر في علوم اللغة للسيوطي

موضوعات المزهر:

(ا) **اللغة من حيث الإسناد** : يعدد السيوطي في مقدمته ثمانية أنواع من الموضوعات عائدة إلى إسناد اللغة، هي: (١) معرفة الصحيح الثابت، (٢) معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت (٣) معرفة المتواتر والآحاد (٤) معرفة المرسل والمنقطع (٥) معرفة الأفراد (٦) معرفة من تقبل روايته ومن ترد (٧) معرفة طرق الأخذ والتحمل (٨) معرفة المصنوع وهو الموضوع ويذكر فيه المدرج والمسروق.

(ب) **اللغة من حيث الألفاظ**: يشتمل على ثلاثة عشر نوعا: معرفة الفصيح، معرفة الضعيف والمنكر والمتروك، معرفة الرديء المذموم، معرفة المطرد والشاذ، معرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر، معرفة المهمل والمستعمل، معرفة المفاريد، معرفة مختلف اللغة، معرفة تداخل اللغات، معرفة توافق اللغات، معرفة المعرب، معرفة الألفاظ الإسلامية، معرفة المولد.

(جـــ) **اللغة من حيث المعنى**: يتضمن ثلاثة عشر نوعا من الموضوعات: خصائص اللغة، معرفة الاشتقاق، معرفة الحقيقة والمجاز، معرفة المشترك، معرفة الأضداد، معرفة المترادف، معرفة الإتباع، معرفة الخاص والعام، معرفة المطلق والمقيد، معرفة المشجر، معرفة الإبدال، معرفة القلب، النحت.

(د) **طرائف اللغة وملحها**: يدخل تحته موضوعات مثل: معرفة الأمثال، معرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذوات، معرفة الملاحن والألغاز.

(هـــ) **حفظ اللغة وضبط مفاريدها**: ومنه معرفة الأشباه والنظائر.

(ز) **رجال اللغة ورواتها**: وأنواعه تتعلق بموضوعات مثل: معرفة آداب اللغوي، معرفة كتاب اللغة، معرفة التصحيف والتحريف، معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء، معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب.

فقه اللغة وسر العربية للثعالبي:

ينقسم على قسمين رئيسين: الأول هو فقه اللغة، والثاني: سر العربية.

القسم الأول يشتمل على ثلاثين باباً وكل باب يحتوي على عدد من الفصول.

والناظر في القسم الأول يجد أنه يشبه معجماً مؤلفاً حسب ترتيب المعاني لا ترتيب الألفاظ حسب أوائلها أو أواخرها.

أمثلة من القسم الأول (فقه اللغة)

في خِيَارِ الأشْيَاءِ

سَرَوَاتُ النَّاسِ

حُمْرُ النَّعَمِ

جِيَادُ الخَيْلِ

عِتَاقُ الطَّيْرِ

لَهَامِيمُ الرِّجَال

حَمَائِمُ الإبِلِ

أحْرَارُ البُقُولِ

عَقِيلَةُ المَالِ

حُرُّ المتَاعِ والضِّيَاعِ.

في الخُلُوِّ مِنَ اللِّبَاسِ والسِّلاح

رَجُلٌ حَافٍ مِنَ النَّعْلِ والخُفِّ

عُرْيَان مِنَ الثِّيَابِ

حَاسِر مِنَ العِمَامَةِ

أَعْزَلُ مِنَ السِّلاحِ

أَكْشَفُ مِنَ التُّرْسِ

أَمْيَلُ مِنَ السَّيْفِ
أَجَمُّ مِنَ الرُّمْحِ
أَنْكَبُ مِنَ القَوْسَ.

في خَلاءِ الأعْضَاءِ مِن شعُورِهَا

رَأْسٌ أَصْلَعُ
حَاجِب أَمْرَطُ
جَفْن أَمْعَطُ
خَد أَمْرَدُ
عارِض أَثَطُّ
جَنَاح أحَصُّ
ذَنَبٌ أجْرَدُ
بَدَن أمْلَطُ

في الإشْبَاعِ والتَّأكِيد

أَسْوَدُ حَالِك
أَبْيَض يَقِقٌ
أَصْفَرُ فَاقِعٌ
أخضَرُ نَاضِر
أَحْمَرُ قَانِئ.

فصل في الأولاَدِ

وَلَدُ الفِيلِ دَغْفَل
وَلَدُ النَّاقَةِ حوَارٌ
وَلَدُ الفَرَسِ مُهْر
وَلَد الحِمَارِ جَحْشٌ

وَلَدُ البَقَرَةِ عِجْل
وَلَدُ الشّاةِ حَمَل
وَلَدُ العَنْزِ جَدْي
وَلَدُ الأسَدِ شِبْل
وَلَد الظَبِي خَشْفٌ
وَلَدُ الضَّبُع فُرْعُلٌ
وَلَدُ الدُّبِّ دَيْسَمٌ
وَلَدُ الخِنْزِيرِ خِنَّوْص
وَلَدُ الثَّعْلَب هِجْرِسٌ
وَلَدُ الكَلْبِ جَرْو
وَلَدُ الفَأْرَةِ دِرْصٌ
وَلَدُ الضَّبِّ حِسْل
وَلَدُ القِرْدِ قِشَّةَ
وَلَدُ الأرْنَبِ خِرْنِق
وَلَدُ الحيّةِ حِرْبِشٌ
وَلَدُ الدَّجَاجِ فَرُّوجٌ
وَلَدُ النَّعامِ رَأْلٌ.

في ضربِ الأعْضَاء

الضَّرْبُ بالرَاحَةِ عَلَى مُقَدَّم الرّأْسِ صَقْع
وَعَلَى القَفَا صَفْع
وَعَلَى الوَجهِ صَكّ
وَعَلَىَ الخَدِّ بِبَسْطِ الكَفِّ لَطمٌ
وَبِقَبْضِ الكَفَ لَكْمٌ
وَبِكِلْتَا اليَدَيْنِ لَدْم
وَعَلَى الذَّقَنِ والحَنَكِ وَهْز ولَهْزٌ

وَعَلَى الصَدْرِ والجَنْبِ بِالكَفِّ وَكْز وَلَكْز
وَعَلَى الجَنْبِ بالإِصْبَعِ وَخْزٌ
وَعَلَى الصَّدْرِ والبَطْنِ بالرُّكْبَةِ زَبْن
وبالرِّجْل رَكْلٌ ورَفْسٌ
وَعَلَى العَجُزِ بالكَفِّ نَخْسٌ
وَعَلَى الضَرْعِ كَسْع
وَعَلَى الاسْتِ بِظَهْرِ القَدَمِ ضَفْن.

في تَقْسِيمِ الرَّمْي بأشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ

خَذَفَه بالحَصَى
حَذَفَهُ بالعَصَا
قَذَفَهُ بالحَجَرِ
رَجَمَهُ بالحجَارَةِ
رَشَقَهُ بالنَّبْلِ
نَشَبَهُ بالنُّشَّابِ
حَثَاهُ بالتُّرابِ
نَضَحَهُ بالمَاءِ
لَقَعَهُ بالبَعْرَةِ

وأما القسم الثاني من كتاب الثعالبي وهو سر العربية فيشبه كتاب الصاحبي في موضوعاته، بل إنه نقل فصولا كاملة منه نحو: (فصل في النحت)، (فصل في الإشباع والتوكيد) (فصل نظم للعرب لا يقوله غيرهم).

المخصص لابن سيده:

وهو أضخم قاموس موضوعي في العربية مؤلف من خمسة أجزاء ضخمة وقسم كل جزء إلى أسفار ذاكرا في كل سفر المفردات المتعلقة بموضوعاته الجزئية.

وبيّن ابن سيده مميزات منهج كتابه هذا فقال: "فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير .

موضوع معجم المخصص:

"وأما ما يشتمل عليه هذا الكتاب، فعلم اللسان. وهو في الجملة ضربان:

أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة في كل لسان ... وذلك كقولنا طويل وقصير وعامل وعالم وجاهل

والثاني: في علم قوانين تلك الألفاظ، وتلك القوانين كالمقاييس التي يعلم بها المؤنث من المذكر والجمع من الواحد والممدود من المقصور والمقاييس التي تطرد عليها المصادر والأفعال ويبين بها المتعدي من غير المتعدي واللازم من غير اللازم وما يصل بحرف وغير حرف وما يقضي عليه بأنه أصل أو زائد أو مبدل وكالاستدلالات التي يعرف بها المقلوب والمحول والاتباع."

اللغة الإنسانية

تعريف اللغة:

ابن جني: عُرف العرب في علومهم باهتمامهم بالتعريف والحد ولكننا لا نجد تعريفا للغة قبل القرن الرابع الهجري عندما عرفها ابن جني في خصائصه قائلا: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

وعرفها **ابن خلدون** في مقدمته: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصودة."

وابن الحاجب: كل لفظ وضع لمعنى. وابن الحاجب هنا يساوي اللغة بمفردات اللغة.

وقد حاول تعريف اللغة مئات العلماء من اجتماعيين وفلاسفة ولغويين، ومن أفضل تعريفاتها تلك التي قدمها:

فندريس Vedryes: إن أعم تعريف للغة هي "أنها نظام من العلامات." هذا التعريف يخرج الأصوات التي ينتجها الحيوان لأن الفارق بين لغة الإنسان والحيوان أن الحيوان لا يستخدم الصوت علامة، ولكن هذا تعريف عام لأنه ليس كل نظام من العلامات يعتبر لغة. فالإشارات المرورية الضوئية نظام ولكنها ليست بلغة، وكذلك الإشارات الموسيقية وما أشبهها، وقد أغفل من التعريف أهم سمات اللغة وهي مادتها الصوتية.

سابير Sapir: أنثربولوجي ولغوي معروف، وضع تعريفاً للغة على النحو التالي: "اللغة وسيلة إنسانية محضة وغير غريزية لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة". يخرج هذا التعريف أصوات الحيوانات والأصوات غير الكلامية التي يصدرها الإنسان، كالبكاء والسعال و"آه" و "أوّه" و"أف" وغيرها لأنها ليست أجزاء من نظام وبعضها غير مقصودة مثل الضحك والبكاء والسعال.

كاتز Katz: اللغة: "وسيلة للاتصال ذات عناصر مركبة نحوياً وموجدة صوتياً لنقل رسائل مفيدة من متكلم إلى آخر." هذا التعريف يأخذ في الاعتبار النظريات والآراء التي أصبحت متداولة في هذا الحقل وخاصة نظريات دي سوسير. فقد ميز أمرين مهمين في اللغة:

١) النظام اللغوي وهو القواعد النحوية والصرفية والمعجمية الفطري منها والمكتسب المخزونة بالذاكرة.

٢) استعمال هذه القواعد وهذا النظام لإنتاج رسائل مسموعة .

سمات وخصائص اللغة الإنسانية

١- **الاصطلاحية:** وتعني عدم وجود علاقة مفروضة بين الكلمة ومعناها. ربما يكون هناك محاكاة صوتية في بعض الكلمات ولكنها ليست إجبارية ولا نستفيد المعنى بناء على تلك المحاكاة. إن اللغة لها الحرية في وضع أي لفظ لأي معنى بشرط أن يصطلح عليه أهل اللغة. وهذه الخاصية لها تأثير كبير في إثراء اللغة ومرونتها ولو كانت علاقة المحاكاة مشروطة لأصبح الإنسان مقيداً واللغة مكبلة ولعجزنا عن وضع كلمات محاكية لمعان كثيرة. ولغة الحيوانات ليست اصطلاحية لأنها تولد وهي مزودة بنظام اتصال غريزي. لذا نظامها جامد وهذا يترتب عليه صغر النظام وجموده.

٢- **الازدواجية** : (تعدد المستويات) نظام الاتصال عند الإنسان مكون من عدد من المستويات:

(أ) المستوى الأول، وهو المستوى الصوتي (في العربية ٢٨ حرفا، و٣ حركات قصيرة، و ٣ حركات طويلة، ليصبح المجموع ٣٤ صوتا.

(ب) المستوى الثاني وهو المستوى المعجمي والصرفي وهو الذي نستطيع به إيجاد مئات الآلاف من الكلمات المركبة من عناصر المستوى الأول.

(ج) المستوى الثالث، وهو المستوى النحوي، الذي يمكننا عن طريق استخدام عناصر المستوى السابق ووفق قواعد معينة إنتاج ما لانهاية له من العلامات في شكل جمل.

٣- **الإنتاجية:** وهي أوضح سمات اللغة الإنسانية. هذه الخاصية هي التي تجعل الإنسان قادرا، بواسطة قواعد محدودة ومخزون ضخم من العلامات، على إنتاج عدد غير محدود من الجمل و فهم عدد لانهائي منها حتى وإن لم يكن قد سمعها من قبل. بينما الحيوان لا ينتج من الرسائل إلا ما هو موجود في نظامه الاتصالي. هذه الميزة جعلت اللغة الإنسانية متكيفة مع الظروف والأحوال، بعكس الحيوان فنظامه مغلق جامد غير متكيف ومما يثبت ذلك التجربة التي قام بها فريش الذي كان معجبا بنظام الاتصال عند النحل، ولكن تجربة معينة قام بها جعلته يكتشف أن نظام الاتصال عند النحل نظام لا يتمتع بالإنتاجية والابتكار ولا يستطيع التكيف مع الظروف والمتغيرات.

٤- **إمكانية الإشارة إلى البعيد:** استخدام الإنسان للصوت علامة مكنه من الخروج من سجن الحاضر فأصبح يستطيع أن يشير إلى البعيد زمانا أو مكانا. فهو قادر على الإشارة إلى أشياء تبعد عنه آلاف الأميال كبرج أيفل ، سور الصين، الأهرام ، ومرتفعات الهملايا ...الخ، وأن يتحدث عن أمور حدثت منذ قرون كمعركة ذي قار وبدر وحطين وهي بعيدة زماناً ومكاناً. أما الحيوان فهو مسجون في الحاضر لا يستطيع التعبير إلا عما هو آني وواقع.

٥- **إمكانية المراجعة:** بإمكان الإنسان أن يؤلف كلاماً من عنده وأن يراجع ويتفقد درجات وضوحه أو غموضه ويدقق فيها وأن يعدل فيه ويحسن من صورته وجماله بعكس الحيوان الذي لا يستطيع أن يفكر في رسائله الاتصالية لأنها جاهزة سلفا وجامدة وغير قابلة للتغيير.

٦- **التعبير عن اللاحسي،** أي المجرد والمعنوي والوهمي والغيبي. فهناك كلمات تدل على الجنس لا الفرد مثل أسد، بقرة، كرسي، وهناك كلمات تدل على أمور معنوية نحو الصدق والكرم، وأخرى تدل على أمور غيبية كالملائكة والجنة وجهنم، أو وهمية نحو الرخ والغول وعروس البحر والسعلاة.

٧- **التوريث الثقافي لا التوريث النوعي** : نحن نعلم صغارنا اللغة عن طريق التلقين والاحتكاك، وإن لم يعيشوا بيننا وعاشوا في مجتمعات لغوية أخرى نجدهم يتعلمون لغة تلك المجتمعات. هذا هو التوريث الثقافي. أما التوريث النوعي فهو ما نلمسه عند الحيوان، فصغاره تولد وهي مزودة بنظام الاتصال عند نوعها.

اللغة والكلام

يفرق علماء اللغة المحدثون بين طبيعتين للغة الإنسانية هما:

اللغة (النظام اللغوي) language والكلام speech.

ويعود الفضل في هذا التفريق بينهما إلى عالم اللغة السويسري دي سوسير:

اللغة (النظام اللغوي) "الساكن"	الكلام "المتحرك"
١- نظام من الإشارات مخزون في الذاكرة.	١- استخدام تلك الإشارات لفهم رسالة أو لإنتاجها بواسطة شخص معين في مكان وزمان معينين.
٢- اللغة موجودة في حالة من الإمكان أي وجود بالقوة لأنها غير متحققة على الواقع وإذا تحققت أصبحت كلاماً. والمخزون في الذاكرة هو انطباعات الأصوات الناتجة عن حركة أعضاء النطق أو اهتزاز طبلة الأذن. بالإضافة إلى قدرات فطرية وقواعد صرفية ونحوية ومخزون من المفردات.	٢- الكلام إيجاد بالفعل.
٣- اللغة تسمو فوق الفرد، إنها ملك للمجتمع الذي اختار هذا النظام للتفاهم بين أفراده. ولا يمكن أن تكون أداة اتصال إلا إذا كان يمتلكها جميع أفراد المجتمع الكلامي.	٣- الكلام استخدام اللغة من قبل شخص معين، أي إنه فعل فردي.
٤-اللغة يتلقاها الفرد بشكل سلبي منذ صغره وحتى شيخوخته ولا يملك من أمرها شيئاً ولا يستطيع أن يغير فيها شيئاً.	٤- الفرد سيد كلامه، له الحق في الكلام أو السكوت. له الخيار في استخدام أساليب بلاغية في حدود قواعد اللغة وله الحق في تأليف الكلام حسب المقام ومقتضى الحال. ويمكنه الجهر بكلامه أو الهمس به.
٥- اللغة ثابتة ذات طبيعة جامدة لأنها قواعد محفوظة في الذاكرة بحسب طبيعتها العقلية السيكولوجية.	٥- الكلام ذو طبيعة متلاشية فبمجرد انتهائك لفظ عبارة ما ينتهي الكلام بحكم طبيعته الفيزيائية غير الباقية.
٦- اللغة ذات طبيعة سيكولوجية نفسية لأنها قواعد مخزونه في الذاكرة.	٦- الكلام ذو طبيعة سيكولوجية (نفسية) لأنه علامات مرتبطة بمعان معينة، وذو طبيعة فيزيائية (طبيعية) لأنه صوت يستقبل بالحواس السمعية وله موجات يمكن أن تقاس.

الكفاية والأداء

فرق تشومسكي اعتماداً على آراء دي سوسير في اللغة والكلام بين نوعين من القدرات اللغوية هما: الكفاية competence و الأداء performance

والفرق بين تصوري الرجلين هو أن دي سوسير يرى الكفاية اللغوية مخزونة في العقل الجمعي وأما تشومسكي فيرى أنها مخزونة في عقل الفرد.

المقدرة اللغوية (الكفاية)	الأداء اللغوي
الكفاية هي القواعد التي يمتلكها الشخص عن لغته وهي إما (١) قوالب وقدرات فطرية يولد الشخص مزودا بها أو (٢) قواعد صوتية ونحوية اكتسبها من خلال احتكاكه بأفراد مجتمع كلامي معين.	استخدام القدرة اللغوية في موقف معين بواسطة متكلم معين. والأداء يتأثر بالظروف المصاحبة للكلام كالتعب والضوضاء والدواعي الأسلوبية والجمالية للكلام.

الفرق بين الجملة والتعبير

التفريق بين الكفاية والأداء يؤدي إلى التمييز بين الجملة sentence المرتبطة بقواعد الكفاية و التعبير utterance المتعلق بالأداء.

الجملة	التعبير
١) هي هيآت مجردة وقواعد مخزونه في الذاكرة. ٢) جزء من النظام اللغوي ٣) بعض الجمل قد لا يتحقق كتعبير مقبول نحو: "دارك تحترق مع أني لا أعتقد ذلك." ٤) الجملة غير مرتبطة بزمن معين أو مكان أو ظرف محدد.	١- حدث كلامي معين. ٢-جزء من الأداء. ٣-التعبيرات المقبولة لا يعني بالضرورة أنها تحقق كامل للجمل النحوية الصحيحة. ٤-مرتبط بزمان معين وشخص معين.

وظائف اللغة

١-**الوظيفة التعبيرية:** هي استخدام اللغة للتعبير عن مشاعر المتكلم وعواطفه ومواقفه من الآخرين والحالات الراهنة. ويكون التركيز فيها على المرسل. تتميز اللغة هنا:

(١) بالتعبير عن المشاعر والاعتماد على الكلمات التقييمية مثل: هذا أمر قبيح (القبح أمر نسبي)، فلان خائن، هو شهم.

(٢) الوظيفة الإيحائية. مثلاً: وجب جهاد العدو الصهيوني. وقام مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين باقتحام مركز للعدو الصهيوني في عملية استشهادية. فالكلمات التي تحتها خط تنبئ عن موقف المتكلم لقيمتها الإيحائية.

وتستخدم الوظيفة التعبيرية في مواقف معينة مثل الشجب والاستنكار والاعتذار والشكر والمدح والتعزية والتعجب.

٢- **الوظيفة العملية:** هي استخدم اللغة مقام الفعل، وهذا يظهر في عبارات إمضاء العقود والمعاملات والزواج والطلاق وإصدار الأحكام والتسمية. نحو قولك: زوجتك بنتي فلانة، أو: وهبتك هذه الدار، وأنت طالق. فهذه العبارات تقوم مقام الفعل ويترتب عليها أمور قضائية ودينية واجتماعية.

٣- **الوظيفة الاجتماعية:** هي التي يراد منها فتح قنوات الاتصال بين الناس وتوثيق الصلات بينهم. وهذا يتأتى من خلال ثلاثة أمور:

١- فتح قنوات الاتصال بينه وبين الآخرين، ويكون ذلك عن طريق:

(أ) عدد من أساليب التحية

(ب) السؤال عن الطقس والأحوال المعيشية

(جـــ) الكلام عن الظرف أو الحال الراهنة التي يوجد فيها مع غيره.

٢- المحافظة على سلامة القناة الاجتماعية عن طريق تشجيع المتكلم على الحديث أو حثه على الاستماع.

٣- إغلاق قناة الاتصال بطريقة مقبولة اجتماعياً مثل "سلم لي على والدك" أو "هل توصينا بخدمة،" أو "أستأذنك الآن،" "مع السلامة".

٤- الوظيفة الإعلامية: وهي استخدام اللغة لنقل الحقائق ووصف الوقائع بطريقة موضوعية مجردة عن الرأي الشخصي والانفعالي للمتكلم، وكثيرا ما تبرز هذه الوظيفة في الأخبار الصحفية وفي الشهادات القضائية. وتظهر أيضا في اللغة الإرشادية ولغة العلوم والتاريخ والقانون.

٥- الوظيفة الجمالية: تتضح هذه الوظيفة في الفنون الأدبية كالشعر والقصة والمسرحية. ففي هذه الفنون يكون الاحتفاء بشكل الرسالة وجمالها أكثر بروزا من موضوعها. ففي القصيدة مثلا يكون الاهتمام بالوزن والقافية والصور الشعرية والمحسنات البديعية إلى درجة قد تؤدي إلى التساهل في النواحي النحوية والصرفية.

٦- الوظيفة التوجيهية (التأثيرية): هي استخدام اللغة للتأثير في سلوك الآخرين ومواقفهم وآرائهم. ومن أبسط مظاهر الوظيفة التوجيهية: الأمر والنهي والإغراء والتحضيض.

ولكن هناك طرق معقدة للتأثير نراها في الخطب الدينية والسياسية، وفي الدعاية والإعلان، حيث تستخدم جماليات اللغة وتستغل العواطف والغرائز للتأثير في المتلقين.

نظريات بداية اللغة

١- نظرية الأصل الإلهي (التوقيفية)

(أ) عند **المسلمين** وقد اصطلح عليها بالنظرية **التوقيفية** ومن أشهر الذين قالوا بها من علماء اللغة: ابن فارس وأبو علي الفارسي ومن علماء الأصول والكلام الأشعري وابن فورك وابن حزم وقد احتجوا لذلك بحجج نقلية وعقلية:

الحجج النقلية (من القرآن الكريم):

١- قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها)

وقد رد ابن جني على هذا بقوله: إن معنى (علّم) لا يعني بالضرورة علّمه الألفاظ والأسماء بل إنه وضع فيه قدرة تساعده على وضع الأسماء والتفاهم بها.

٢- قوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان)

٣- قوله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)

الحجج العقلية :

١- لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة، وهذه تحتاج إلى اصطلاح سابق، ويلزم من هذا الدور التسلسل وهو محال فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف.

٢- لو كانت اللغة اصطلاحية لجاز التغيير فيها لأنه لا حجر على الناس فيما اصطلحوا عليه وهذا غير جائز لأنه مؤدٍ إلى تبديل في اللغة وهذا بدوره مؤد إلى تغيير في الشرائع لأن معاني نصوصها قد تتغير بتغير الاصطلاح.

٢- نظرية الاصطلاح

أصحاب هذه النظرية يقولون إن واضع اللغة هم البشر الذين اصطلحوا على أصوات معينة ليشيروا بها إلى الأشياء حين غيابها. وقد استدل القائلون بالأصل الاصطلاحي من **المسلمين** بحجة نقلية وحجج عقلية:

الحجة النقلية:

احتج أهل الاصطلاح من القرآن بقوله سبحانه وتعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أي بلغتهم فهذا يقتضي تقدم اللغة على بعثة الرسل ، فلو كانت اللغة توقيفية لم يتصور ذلك إلا بالإرسال فيلزم الدور لأن الآية تدل على سبق اللغات للإرسال والتوقيف يدل على سبق الإرسال لها. واعترض على هذا الاستدلال بأن آدم عليه السلام هو الذي عُلّمها كما دلت عليه الآية وهو بدوره عَلَمها لأقدم رسول.

حججهم العقلية:

١- لو كانت اللغات توقيفية فذلك إما بأن يخلق الله تعالى علما ضروريا في العاقل أنه وضع اللفظ لكذا، وهذا باطل لأنه يلزم منه كون العاقل عالما بالله بالضرورة، لأنه إذا كان عالما بالضرورة بكون الله وضع لفظ كذا لكذا كان علمه بالله ضروريا، ولو كان كذلك لبطل التكليف.[١][10]

٢- وقالوا أيضاً إن اللغة اصطلاحية بناءً على ما نراه مشاهداً من تعلم الأطفال لها حيث يتعلمون اللغة بالتلقين والإشارة وسماع من حولهم.

وقد اشتهر بالقول بالاصطلاح من المسلمين **أبو هاشم** أحد كبار المعتزلة وأتباعه، وقد ذهب إلى هذا في بعض أقواله **ابن جني** مبينا أن معنى (علّم) لا يعني بالضرورة علّمه الألفاظ والأسماء وإنما وضع فيه قدرة تمكنه من وضعها والتفاهم بها. وذكر أن **الغزالي** وهو فيلسوف وأصولي معروف، قال في المنخول: اللغات كلها اصطلاحية إذ التوقيف يفهم بقول الرسول ولا يفهم قوله بدون سبق اللغة. ومن الذين قالوا بالاصطلاح الفيلسوف **الفارابي**. ويستنتج

---

[١][10] الشوكاني، إرشاد الفحول،١/ ٨٤.

من قصة حي بن يقظان أن مؤلفها الفيلسوف **ابن طفيل** لا يعتقد بالتعليم الإلهي في القدرة اللغوية لأن الحكيم (آسال) عندما قابل (حي بن يقظان) الذي عاش بين الحيوانات منعزلا عن البشر في جزيرة نائية، وجده قد وصل إلى أرقى درجات المعرفة الإيمانية لكنه كان لا يتكلم لغة، فاضطر إلى تعليمه إياها عن طريق الإشارة إلى الأشياء باليد والنطق بالألفاظ.

وممن قال بنظرية الأصل الاصطلاحي للغة من **غير المسلمين**:

أرسطو: كان يرى أن اللغة اصطلاحية ولا علاقة بين الاسم ومعناه وكان يرد على قول الطبيعيين ويقول هناك كلمات كثيرة لا توجد بينها وبين ما تشير إليه علاقة محاكاة، ولو كانت اللغة طبيعية لتشابهت اللغات.

وكان أشهر من قال به في القرن التاسع عشر الفيلسوف الإنجليزي **آدم سميث** Adam Smith، والفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو** Jean Jacques Rousseau الذي قال: إن الإنسان وضع اللغة بعد أن أصبح مخلوقا ذكياً وكوّن المجتمعات وطور الفنون.

الجمع بين الرأي التوقيفي والاصطلاحي: عندما رأى الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني تعارض مذهبي القائلين بالتوقيف والقائلين بالاصطلاح، ولا دليل قاطع في المسألة مع ضعف دليل أهل الاصطلاح لأنه يقتضي أن يسبق الاصطلاح على اللغة اصطلاح سابق وهكذا، رأى أن المخرج هو الجمع بين الرأيين والتوفيق بينهما للخروج من هذا المأزق فافتراض أن القدر من اللغة الذي مكن من الاصطلاح على اللغة لا بد أن يفترض فيه التوقيف، وأما باقي اللغة فاصطلاحي.

٣- النظرية الطبيعية:

هذه النظرية تقول إن اللغة بدأت بمحاكاة الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.

وقد قال بهذا الرأي من **المسلمين** عباد بن سليمان الصيمري الذي يرى أن لا بد أن يكون بين الكلمة ومعناها علاقة طبيعية حملت الواضع أن يضع لفظ كذا لكذا وإلا كان اختصاص المعنى بلفظ من بين الألفاظ بلا مخصص.[11][٢]

ومن الفلاسفة اليونان الذين قالوا بهذا الرأي **أفلاطون** الذي قال: إن هناك علاقة طبيعية بين الكلمة وما تشير إليه.

وقد كان الفلاسفة اليونانيون المعروفون **بالرواقيين** Stoics يعتقدون بعلاقة طبيعية بين الكلمة وما تشير إليه، ويستدلون على ذلك بوجود الكلمات المحاكية onomatopoeia لمعناها في اللغات. وقال بذلك أيضا إبيقور Epicurus الذي علل وجود الكلمات غير المحاكية بأنها تعود إلى كونها نقلت من معانيها الأصلية إلى أخرى عن طريق الاستعارة والمجاز.

[11] [٢] شمس الدين الأصفهاني، شرح المنهاج، ١٦٩/١.

اللغات السامية

السامية تسمية حديثة عهد اقترحها عالم اللاهوت الألماني –النمساوي شلوتزر Scholzer عام ١٧٨١ للميلاد، لتكون علماً على عدد من الشعوب التي أنشأت في هذا الجزء من غرب آسيا حضارات ترتبط لغوياً وتاريخياً، كما ترتبط من حيث الأنساب، والتي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، بناء على ما جاء في التوراة في صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، من أن الطوفان عندما اجتاح سكان الأرض لم ينج منه سوى نوح وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث وما حمل معه في سفينته من كل زوجين اثنين. وقد شاعت هذه التسمية وأصبحت علماً لهذه المجموعة من الشعوب عند عدد كبير من العلماء في الغرب ومن سايرهم من العرب" على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي، أو إلى أسس علمية عرقية صحيحة، أو وجهة نظر لغوية.[١][٣]

إن هذه الشعوب التي أطلق عليها خطأ اسم "الساميون" هي في حقيقة الأمر قبائل عربية هاجرت بفعل العوامل الطبيعية من جزيرة العرب بحثاً عن الماء والكلأ، ومنها تفرعت الأقوام الأخرى، يؤكد هذا القول ما ذهب إليه "كثير من العلماء الباحثين في أصل الأجناس والسلالات من أن العرب هم أصل العرق السامي، ومن أرومتهم تفرعت الأقوام الأخرى وتشعبت قبائلها، ولهذا الفريق شواهد تاريخية وعرقية ولغوية يدعم بها حجته ويثبت آراءه."[٤][2]

---

[١][٣] كايد، إبراهيم، "العربية بين الساميات"

[2][٤] كايد، إبراهيم "العربية بين الساميات"

الاختلافات بين العربية واللغات السامية

العربية هي أكثر اللغات السامية احتفاظاً بسمات السامية الأولى فقد احتفظت بمعظم أصوات اللغة السامية وخصائصها النحوية والصرفية.

١- احتفظت بأصوات فقدتها بعض اللغات مثل: غ، خ، ض، ظ، ث، ذ. ولا ينافسها في هذه المحافظة إلا العربية الجنوبية.

٢- احتفظت العربية بعلامات الإعراب بينما فقدتها اللغات السامية الأخرى.

٣- احتفظت بمعظم الصيغ الاشتقاقية للسامية الأم، اسم الفاعل، المفعول. وتصريف الضمائر مع الأسماء والأفعال: بيتي، بيتك، بيته، رأيته، رآني.

٤- احتفظت بمعظم الصيغ الأصلية للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

٥- يضم معجم العربية الفصحى ثروة لفظية ضخمة لا يعادلها أي معجم سامي آخر. ولهذا أصبحت عونا لعلماء الساميات في إجراء المقارنات اللغوية أو قراءة النصوص السامية القديمة كنصوص الآثار الأكادية والفينيقية والأوغاريتية وحتى نصوص التوراة العبرية.

الاشتقاق

أصل المشتقات:

الاختلاف في أصل الاشتقاق

اختلف أهل اللغة في أصل الاشتقاق فذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، وذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو ضرب ضربا وقام قياما.

وأما **البصريون** فاحتجوا بما يلي:

١- المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل .

٢- المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم .

٣- الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث والزمان المحصل والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل.

٤- المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل والفعل له أمثلة مختلفة .

أما **الكوفيون** الذين قالوا بأن المصدر مشتق من الفعل فاحتجوا بما يلي:

١- المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله .

٢- الفعل يعمل في المصدر، فوجب أن يكون المصدر فرعا للفعل لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

٣- المصدر يذكر تأكيدا للفعل، ولا شك أن رتبة المؤكَّد قبل رتبة المؤكِّد فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع.

أنواع الاشتقاق:

اختلف المحدثون من علماء اللغة العرب في أنواع الاشتقاق، ومدلول كل نوع.

فعبد الله أمين في كتابه "الاشتقاق" يجعل الأنواع أربعة : صغير وكبير وكبَار أو أكبر وكبَار. ويعنى بالصغير: الاشتقاق الصرفي، وبالكبير: الإبدال، وبالأكبر: التقليب، وبالكبَار: النحت.

أما الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "فقه اللغة" فيجعل أنواعه ثلاثة : العام والكبير والأكبر.

فالعام هو الصرفي، والكبير هو التقليب، والأكبر هو الإبدال.

والدكتور صبحي الصالح في كتابه "دراسات في فقه اللغة" يجعله أربعة أنواع : الأصغر وهو الصرفي، والكبير وهو التقليب، والأكبر وهو الإبدال، والكبّار وهو النحت.[٥]

١ – **الاشتقاق الأصغر** : وهذا النوع هو المعني عند الإطلاق، ولذلك يسمى "الاشتقاق العام" أو "الاشتقاق الصرفي" لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه، ويشتق بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ، والفرعية في بعضها الآخر.

وهنا يختلف النحاة في أصل المشتقات، فيرى البصريون أن المصدر أصل المشتقات لكونه بسيطاً أي يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل فإنه يدل على الحدث والزمن.

أما الكوفيون فيعدون الفعل أصلاً للمشتقات، لأن المصدر يجيء بعده في التصريف، فيقال مثلاً : ضرب يضرب ضرباً.[٦]

وهذا النوع من الاشتقاق قياسي، إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة "فكثير من تلك الصيغ التي يجوز اشتقاقها لا وجود لها فعلاً في نص صحيح من نصوص اللغة ... فليس من الضروري أن يكون

---

[٥] فصول في فقه العربية – د: رمضان عبد التوّاب. ص ٢٩١

[٦] المصدر السابق – نفس الصفحة.

لكل فعل اسم فاعل أو اسم مفعول مرويان في نصوص اللغة."[٧]

والمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضاً في الوجود.

وليس من اليسير دائماً أن ندرك أسبقها، وأن نعيّن متى استعملت مادتها الأصلية أول مرة، إلا أننا نرجح دائماً أن الحسي أسبق في الوجود من المعنوي المجرد، وهذا ما يجعلنا ننتصر للرأي القائل : بأن أصل المشتقات هي الأسماء لا الأفعال، ولاسيما أسماء الأعيان.[٨]

- وأشار الأستاذ "عبد الله أمين" إلى أن العرب اشتقت من أسماء الأعيان، إلى جانب اشتقاقها من المصادر، ويدلّل على ذلك بقوله : ولاشك أن كل اسم من أسماء الأعيان هو أصل المشتقات من مادته، إذ لا يعقل أن الفعل : تأبّل أي (اتّخذ إبلاً) قد وضع قبل أن يوضع لفظ (إبل) نفسه، وأوضح من هذا دليلاً وأقوى حجة على أن العرب اشتقوا من أسماء الأعيان كما اشتقوا من المصادر: أنهم عرَّبوا أسماء أعجمية ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالاً ومشتقات، فعرّبوا اللِّجام ثم اشتقوا منه: ألجم الفرس.[٩]

- ويؤيد الدكتور صبحي الصالح الرأي القائل بأن أسماء الأعيان هي أصل المشتقات فيقول: وكيف لا تكون أسماء الأعيان أصول المشتقات كلها وقد أكثر العرب من اشتقاق الأمثال والمصادر من هذه الأسماء ؟ كيف وقد امتلأت معاجمنا وكتبنا اللغوية بما لا يحصى من الجواهر التي تفرعت عنها الصفات والأحوال، والمصادر والأفعال ؟

فمن الرأس ذاته اشتقوا : رأسته رأساً إذا ما أصبت رأسه .

ومن أسماء الأقارب اشتقوا المصادر والأفعال : فالتبنّى من الابن، والبعال والمباعلة : اتخاذ البعل. وولّدوا كثيراً من الألفاظ من أسماء الأمكنة، فقالوا: أحرم القوم: دخلوا في الحرم، ساحلوا : أتوا الساحل، أهضب : نزل الهضاب.

---

[٧] من أسرار اللغة – إبراهيم أنيس . ص ٤٧

[٨] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح – ص ١٨٠

[٩] فصول في فقه العربية – د: رمضان عبد التواب. ص ٢٩١– ٢٩٢

ومن أسماء الأزمنة اشتقوا اشتقاقاً صريحاً فقالوا: أخرفوا، وشتوا، واستحروا.

وفي هذا كله برهان قوي لا يمكن مدافعته على أن الاشتقاق من أسماء الأعيان مقدم على الاشتقاق من أسماء المعاني.[١٠]

وقد عدّ الدكتور صبحي الصالح صنيع ابن فارس في تعدّد الأصول " لوناً من الترف العقلي أو التزيد العلمي، ربما أراد به ذلك العلاّمة الجليل أن يظهر قوة ساعده في تلمس الفروق الدقيقة بين المفردات التي يرجّح البحث العلمي المنهجي أنها تفرّعت من أصل واحد لا من أصول متفرقة"[١١]

ولكن البعد الزمني والحقب الطويلة التي تقلبت فيها العربية حتى زمان تدوينها على أيدي ابن فارس وغيره، جعل الرابطة بين معاني مفردات المادة الواحدة تبدو لنا وكأنها غير موجودة. وهذا هو السر الحقيقي وراء مذهب ابن فارس في أصوله.[١٢]

– ويؤكد الدكتور "فايز الداية" أن للاشتقاق أثراً في التطور الدلالي: إن الاشتقاق قدرة كامنة في كيان العربية لا يزال جزء كبير من المفردات غير مستعمل في الحالات الاشتقاقية كلها.[١٣]

---

[١٠] دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : ١٨٢ – ١٨٥

[١١] دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : ص ١٧٦

[١٢] فصول في فقه العربية : د. رمضان عبد التواب : ص ٢٩٥– ٢٩٦

[١٣] علم الدلالة العربي : د. فايز الداية : ٢٣٧ – ٢٣٨

٢ – الاشتقاق الكبير :

وفكرة الاشتقاق الكبير: تقوم على أخذ أصل ثلاثي واشتقاق تقاليـــبه الستة منه ومحاولة إيجاد معنى واحداً يجمع بين التراكيب الستة المشتقة من ذلك الأصل.

وقد أولع ابن جني بهذا النوع من الاشتقاق حيث أفرد له في الخصائص باباً خاصاً لكنه سماه (الاشتقاق الأكبر) .

– وينبغي ألا نخلط هنا بين الاشتقاق الكبير ، وطريقة التقليبات التي عرفناها من قبل في معجم (العين) للخليل بن أحمد ومن نهج نهجه، فالتقليبات هناك طريقة للإحصاء.

ولم يحاول الخليل ولا غيره من أصحاب المعاجم أن يرجعوا تقاليب المادة المختلفة إلى معنى واحد، كما فعل ابن جني.

ولعل فكرة كتاب (العين) هي التي أوحت إلى ابن جني بموضوع الاشتقاق الأكبر.[١٤]

وقد فطن الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى هذه الروابط المعنوية في الاشتقاق الكبير، كما فطن إليها قبل ابن جني أستاذه أبو علي الفارسي، إلا أن الذي توسَّع فيها وفي ضرب الأمثلة الموضحة لها هو ابن جني نفسه.[١٥]

وقد رفض العديد من اللغويين هذا النوع من الاشتقاق، وتعرض ابن جني للنقد على أيديهم.

فقال السيوطي : "هذا ما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبوعلي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة. ولا يصح أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده، وردّه المختلفات إلى قدر مشترك، مع اعتراضه وعلمه

---

[١٤] فصول في فقه العربية – د: رمضان عبد التواب : ص ٢٩٦ – ٢٩٧

[١٥] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح : ص ١٨٨

بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني، مغايرة للقدر المشترك، ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة، معنى مشترك بينها، هو جنس لأنواع موضوعاتها، ولكن التحيُّل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء مغرب."[١٦]

ويُعدّ الدكتور إبراهيم أنيس معارضاً لهذا الباب، وقد انتقد ابن جني على تكلُّفه فيه:

"وإذا كان ابن جني قد استطاع في عنت ومشقة أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال إنها في جمهرة اللغة لابن دريد تصل إلى أربعين ألفاً، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر."[١٧]

ولابد هنا من الإشارة إلى أن هناك من تكلّف بهذا النوع من الاشتقاق أكثر من ابن جني، (فقد تكلّف بعضهم فيه وفي غيره تكلّفاً لا يطاق، فخرجوا عن مدلول اللفظ الأصلي، وتعسّفوا في التقليل والتفسير: فهذا حمزة بن الحسن الأصبهاني يقول في كتاب الموازنة: كان الزجّاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، فتقول: الرحل مشتق من الرحيل، والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب أي (رجع) لباساً بعد أن كان غزلاً..)[١٨]

ونعود إلى القول إن بعض الباحثين اعتبروا أن اللغويين القائلين بالاشتقاق الكبير قد (اقتبسوا فكرة تقليب الأصول من معجم العين " للخليل" وأمثاله، فقد سلك صاحب العين وصاحب الجمهرة (ابن دريد) وغيرهما مسلكاً عجيباً في ترتيب الكلمات، فكان كل منهم

---

[١٦] المزهر في علوم اللغة : السيوطي : ٣٤٧/١

[١٧] من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس : ص ٥٢

[١٨] المزهر : السيوطي : ٣٥٤/١

حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلُّباتها، ويذكر معنى كل صورة من صورها دون التعرض للربط بين دلالات تلك الصور.

فهي طريقة إحصائية أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة.

فلما جاء أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن جني وابن فارس ربطوا بين دلالات تلك الصور، واستنبطوا معاني مشتركة بينها، وسمي هذا بالاشتقاق الكبير.)[١٩]

وإذا أخذنا على سبيل المثال مادة (ب.ج.ر) وبحثت عن تقاليبها في معجم (الجمهرة) لابن دريد، وقارنّاه بما ورد عنها في (الخصائص) نجد:

أن ابن دريد اكتفى بعرض تقاليب المادة وأهمل المعنى المشترك بينها، بينما أوضح ابن جني الرابط المشترك بين تقاليب هذه المادة.[٢٠]

ولنبدأ بما أورده (ابن دريد) في (ج.ب.ر) : جبور العظم، والجِبارة : الخشب الذي يُشدّ على العضو المكسور، وأجبرت الرجل على كذا فهو مجبر، والجَبْر: الملك، والجبّار: للنخل الذي قد فات اليد.

وفي (ب.ر.ج) يذكر البُرْج : من بروج الحصن أو القصر، أما البرج من بروج السماء فلم تعرفه العرب، إنما كانت تعرف منازل القمر، والبَرَج: هو نقاء بياض العين وصفاء سوادها.

وفي (ر.ج.ب) يتحدّث عن رَجْب الرجل: إكرامه وتعظيمه، ويرى أن شهر رجب سمي بهذا الاسم لتعظيمهم إياه ويذكر أن ما تستند به النخلة إذا مالت وكرمت على أهلها يسمى (الرُجْبة) .

وفي (ج.ر.ب) يذكر الداء المعروف: الجَرَب، والجَرْبة: القَراح، والجَرْباء: السماء، والتجارب والرجل المجرب، والجِرْبياء: ريح الشمال، وجُرُبّان السيف: قرابه.

وفي (ب.ج.ر) يجد: البَجْرة: وهي السُرَّة الناتـــئـــة، وقولهم هذا بُجْري أي عظيم

---

[١٩] من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس : ص ٤٩

[٢٠] دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : ص ١٩٠

والجمع البجاري وهي الدواهي العظام.[٢١]

٣ – الاشتقاق الأكبر :

وهو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته.

ومتى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية فلابد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخر تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات.

من ذلك تناوب اللام والراء في هديل الحمام وهديره، والقاف والكاف في : كشط الجلد وقشطه، والباء والميم في كبحت الفرس وكمحته، وهذه الأمثله في تقارب المخرج الصوتي.

ومن أمثلة اتفاق الصفات : تناوب الصاد والسين في : سقر وصقر، وسراط وصراط... وإذا كان الاشتقاق الكبير يقوم على القلب، فمن الواضح أن الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال.[٢٢]

– وقد أفرد ابن جني في الخصائص باباً أسماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) وجاء فيه كثير من أمثلة هذا الاشتقاق الأكبر، (من ذلك قول الله سبحانه : " إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً " أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزاً ، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة. ومنه القَرْمة وهي الفَقرة تُحزّ على أنف البعير، وقريب منه قلَّمت أظفاري، لأن هذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد، فالراء أخت اللام..)[٢٣]

---

[٢١] الجمهرة : ابن دريد : ٢٠٧/١ – ٢٠٩

[٢٢] دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : ٢١٠ – ٢١٢

[٢٣] الخصائص : ابن جني : ٥٣٨/١

- أما المحدثون فهم يعتبرون أن صور الإبدال ما هي إلا من أثر التطور الصوتي. وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس : (حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنها من الإبدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطوُّر عنها ...)[٢٤]

إلا أن القدماء اعتبروا الإبدال من سنن العرب المعتادة كابن فارس، أما السيوطي فأشار إلى أن صور الإبدال مردُّها إلى اختلاف اللهجات فقال: (وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في حرف لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد)[٢٥]

- إن المُعوَّل عليه في باب الإبدال هو المخرج لا الصفة، وابن جني لم يذكر من صور الإبدال إلا ما تقارب مخرجاً ، بل ما تآخى مخرجاً ، حتى يعلل هذا التقارب بقوله في الأحرف المبدل منها: "إنها أخوات الأحرف المبدلة"[٢٦]
- ولكي يتصاقب المعنيان لابد أن يتعاقب اللفظان تعاقباً حقيقياً لا تجوز فيه، ولا يظهر التعاقب اللفظي على حقيقته إلا استعماله فيما وضع له، فإن استعمل في غير ما وضعته العرب عُدَّ خطأ و لم يكن من الإبدال في شيء.[٢٧]
- ومن صور الإبدال ما يمكن إدراجه في باب الإتباع، فالإتباع على ضربين: ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به توكيداً ، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول، فمن الأول قولهم: رجل قسيم وسيم ، وكلاهما بمعنى الجميل، وضئيل بئيل بمعنى واحد، ومضيع مسيع. ومن الثاني: حار يار، وعطشان نطشان، وجائع ناقع، والكلمة الثانية في

---

[٢٤] من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس : ص ٨٥

[٢٥] المزهر : السيوطي : ٤٦٠/١

[٢٦] دراسات في فقه اللغة : الصالح : ص ٢٣٥

[٢٧] المصدر السابق : ص ٢٣٦

هذا الضرب تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة، ولهذا قيل إتباع.[٢٨]

[٢٨] المصدر السابق ص ٢٣٩ – المزهر : السيوطي : ١/٤١٥ – ٤١٦

الجذر

الجذر: هو الحروف الأصلية المشتركة بين كلمات معينه تشترك في معنى عام، مثل (ج.ن) التي تتكرر في: جنَّ- جَنه – جَنان –جنين – جُنة، جَنَن.

آراء العلماء في الجذر:

قال بعضهم هي كلمات كان لها في مرحلة من تاريخ اللغة معان معينة. وقال آخرون إن الجذور ما هي إلا افتراضات استنتجت من المشتقات ولا وجود لها إلا في أذهان بعض اللغويين.

الصلة بين الجذور والمشتقات:

هناك علاقة صوتية فبين جَنة – جَنان –جنين – جُنة، جَنَن وجود الجيم والنون.

ثم هناك علاقة دلالية معنوية لأن معاني هذه الألفاظ تشترك في معنى عام هو "التغطية والستر"

أمثلة أخرى:

غ ف ر (التغطية)

غفر: غطى؛ الغفارة: غطاء للمرأة؛ مغفر: البيضة التي يضعها الفارس على رأسه؛ غفر: عفا (غطى على ذنبه)؛ الغفير : الكثير (لأنه يغطي).

ع ف و (التغطية والنماء)

عفا: نما وطال (يغطى)، العفاء: الريش والشعر (شيء ينمو ويغطي).

عفا: غفر له (غطى على ذنبه) عفت الديار: طمست (غُطيت).

القلب اللغوي والاشتقاق التقليبي:

القلب اللغوي: تقديم حرف على آخر في الكلمة، وهو ظاهرة شائعة في حياة بعض الكلمات، ومن أمثلته:

جذب و جبذ: قطع

صاعِقة وصَاقِعة.

اضمحلّ وامضحلّ الشيء: ذهب.

طريق طَامِس وطَاسِم.

مِزرَاب ومِرْزاب: ميزاب الماء.

رجل شَاكي السلاح وشائك: كامله.

وهناك ثلاث حالات للقلب:

الأولى: ما نسمعه في كلام الصغار، مثل قولهم أعطيناك > أطعيناك.

الثانية: ما يكون في لغتين مختلفتين: مثل: صاعقة وصاقعة، وجذب وجبذ.

الثالثة ما يكون في لغة واحدة وهو قليل نادر، مثل شائك وشاكي.

الاشتقاق التقليبي:

يرى ابن جني أن التقليبات الستة للجذر الثلاثي هي نوع من الاشتقاق الذي سماها الاشتقاق الكبير، (ونحن هنا نسميه الاشتقاق التقليبي) ووصفه بقوله: هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه.

ويمكن أن نبسط تعريفه على النحو التالي: رد التقليبات الستة للأصل الثلاثي إلى مدلول عام يضمها جميعا. وقد ضرب ابن جني أمثلة قليلة على هذا الاشتقاق في كتابه الخصائص، منها:

(ك ل م) يزعم أن معاني تقليباتها تدور حول: الدلالة على القوة والشدة. والمستعمل منها أصول خمسة، وهي: (ك ل م) (ك م ل) (ل ك م) (م ك ل) (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك)، فلم تأت في ثبت، فمن ذلك الأصل أُخذ:

الأول (**ك ل م**)، منه الكلم للجرح.

الثاني (**ك م ل**)، من ذلك كمَل الشيء وكمُل وكمِل فهو كامل.

الثالث (**ل ك م**)، منه اللكم [لأنه أشد من الصفع واللطم].

الرابع (**م ك ل**)، منه بئر مكول، إذا قل ماؤها، والتقاؤهما أن البئر موضوعة إذا قل ماؤها كره موردها، وتلك شدة ظاهرة.

الخامس (**م ل ك**)، من ذلك ملكت العجين، إذا أنعمت عجنه فاشتد وقوي. ومنه ملك الإنسان، ألا تراهم يقولون: قد اشتملت عليه يدي، وذلك قوة وقدرة من المالك على ملكه، ومنه الملك، لما يعطى صاحبه من القوة والغلبة، وأملكت الجارية، لأن يد بعلها تقتدر عليها. فكذلك بقية الباب كله.

وقد انتقد ابن جني كثير من اللغويين الأقدمين والمحدثين، فمن الأولين، السيوطي الذي قال في شأن هذا الاشتقاق: "وهذا مما ابتدعه الإمامُ أبو الفتح ابن جنّي وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتَمداً في اللغة ولا يصحّ أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده وردّه المختلفات إلى قَدْرٍ مشترك مع اعترافه وعِلْمِه بأنه ليس هو موضوع تلك الصّيغ وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني مغايرةً للقَدْر المشترك وسببُ إهمال العرب وعدمِ التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلةٌ وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكادُ تتناهى فخصُّوا كلّ تركيب بنوعٍ منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولو اقتصروا على تغاير الموادّ حتى لا يدلّوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضّرب لمنافاتهما لهما لضاق الأمرُ جداً ولاحْتاجوا إلى ألوف حروفٍ لا يجدونها."

الإبدال

الإبدال: هو جعل حرف مكان آخر في الكلمة، مثل فناء الدار، وثِناء الدار، حيث جعل الثاء بدل الفاء؛ والإبدال أنواع:

الإبدال الصرفي (الشائع): وهو جعل حرف مكان آخر لضرورة لفظية: إما لتسهيل النطق أو لمجاراة الصيغة الشائعة، وهو إبدال مطرد ضروري عند جميع العرب، ويقع في حروف معينة يجمعها لفظ (طال يوم أنجدته) ومن أمثلته:

فَعَل	افتعل قبل التغيير	افتعل بعد التغيير	تغيير	تغيير
صفا	اصتفى	اصطفى		
ضرب	اضترب	اضطرب		
ضرّ	اضتُرّ	اضطُرّ		
صلى	اصتلى	اصطلى		
طرد	اطترد	اطْطَرد	اطّرد	
زهر	ازتهر	ازدهر		
زجر	ازتجر	ازدجر		
ذكَر	اذْتكر	اذْدكر	ادْدَكر	ادّكر

ومن الإبدال الصرفي **الإعلال** وهو: تغيير حرف العلة (الواو ، أو الياء، أو الألف) والهمزة، مثل:

سماو ← سماء

بايِع ← بائع

قاوِل ← قائل

صوَم ← صام

بيَع ← باع

الإبدال اللغوي: هو جعل حرف مكان آخر لغير ضرورة لفظية، مثل:

لِثام و لِفام.

أرمد و أربد.

مرَث الخبز ومرده.

الثُّوم والفوم.

الإبدال اللغوي القياسي:

مِنْ هذا الباب ما يَنْقاس: وهو كلُّ سينٍ وقعت بعدها عينٌ أو غينٌ أو خاءٌ أوقافٌ أو طاءٌ جاز قلبُها صاداً.

وشرطُ هذا الباب أن تكون السينُ متقدَّمةً على هذه الحروف لا متأخرةً بعدها، وأن تكونَ هذه الحروفُ مُقارِبةً لها لا متباعدة عنها، وأن تكون السين هي الأصل، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يَجُزْ قلبُها سيناً لأن الأضْعفَ يُقْلَب إلى الأقوى ولا يُقْلَب الأقوى إلى الأضْعَف وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف لأنها حروفٌ مُسْتَعلية والسينُ حرف مُتَسَفِّل فثقُل عليهم الاستعلاء بعد التَّسفل لما فيه من الكُلْفة فإذا تقدّم حرفُ الاستعلاء لم يُكْرَه وقوعُ السين بعدَه لأنه كالانْحِدار من العلوّ وذلك خفيفٌ لا كُلْفةَ فيه.

ومن أمثلته:

القُعاس والقُعاص: داء يأخذُ في الصّدر.

السُّقع والصُّقع: النَّاحِية من الأرض.

الأسْقع والأصْقَع: طائر كالعصفور.

خطيب مِسْقَع ومِصْقَع: بليغ.

دليلٌ مِسْدَع ومِصْدَع: حاذق.

الرُّسْغ والرُّصْغ: مُنْتَهى الكفّ عند المفصل.

سِماخ وصِماخ: ثقْب الأذُن.

الخِرْسَة والخِرْصَة : ما تُطْعمَه النُّفساء.

السراط والصراط.

السوط والصوط.

الاشتقاق الإبدالي:

هناك من اللغويين من رأى في الإبدال وتقارب مخارج حروف الكلمة ومعانيها نوعا من الاشتقاق، وسماه بعضهم بالاشتقاق الكبير أو الأكبر، وبما أن تقليب الحروف يُدْعى مرة بالاشتقاق الأكبر ومرة بالكبير فيحسن أن نسمي هذا الإبدال الاشتقاق الإبدالي. ومن كلامهم عنه يمكن تعريفه بأنه: ردّ الكلمات إلى أصل واحد إذا تدانت معانيها وتقاربت حروفها في المخارج أو في الصفات.

وقد أورد ابن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني أمثلة كثيرة تصلح له، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع منه بحسب عدد الحروف المتقاربة في المخرج أو في الصفة:

١) مقاربة في حرف:

جرف "قشر وجه الأرض" وجلف "قشر"؛ هنا تقاربت (ر) و (ل) لأنهما حرفان ذلقيان.

العَلْب: "الأثر والعَلْم: "الشقّ في الشفة العليا،" وهما متقاربان في المعنى؛ و (ل) و (م) حرفان شفويان.

الغَرب: "الدلو العظيمة" والغرف "أخذ الماء بإناء"؛ و (ب) حرف شفوي و (ف) حرف شفوي أسناني.

هديل وهدير: أصوات؛ و (ل) و (ر) حرفان ذلقيان.

جبل "اجتمع وغلظ" وجبن :"استمسك وتجمع"؛ و (ل) و (ن) متقاربان لأنهما ذلقيان.

٢) مقاربة في حرفين:

(س ح ل) و (ص هـ ل) أصوات؛ و (س) و (ص): الأول غير مطبق والثاني مطبق، و(ح) و (هـ) حرفان حلقيان.

سحل وزحر أصوات؛ و(س) و (ص): الأول غير مطبق والثاني مطبق؛ و (ل) و (ر) ذلقيان.

جلف وجرم يفيدان معنى "القشر"، و (ل) و (ر) ذلقيان؛ و (ف) و (م) متقاربان في المخارج؛ لأن الأول شفوي أسناني، والثاني شفوي أنفي.

٣) مقاربة في ثلاثة أحرف:

زأر وسعل أصوات؛ (ز) و (س) حرفا صفير؛ و (أ) و (ع) حلقيان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.
زأر و صهل (ز) و (س) حرفا صفير؛ و (أ) و (هـــ) حلقيان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.
غدر و ختل تدلان على " الفعل في خفاء"؛ و (غ) و (خ) حلقيان؛ و (د) و (ت) أسنانيان لِثويان؛ و (ر) و (ل) ذلقيان.

النحت

النحت :هو أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها.[٢٩]

ويُعدُّ ابن فارس إمام القائلين بالنحت بين اللغويين العرب القدامى، حيث يرى أن الكلمات الزائدة على الثلاثي أكثرها منحوت، يقول: (اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت : أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ.)[٣٠]

– وقد سبق الخليل بن أحمد في هذا الباب فقال في العين: (فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلاً . قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين والباء من (عبد)، وأخذ الشين والميم من (شمس) وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا من النحت.)[٣١]

ويذكر ابن فارس : أن الخليل سبقه في هذا الرأي، وأنه يسير على منهجه في ذلك فيقول: (والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حيعل الرجل، إذا قال : حي على الصلاة...)[٣٢]

– وقد يكون بين الأمثلة التي ذكرها ابن فارس من الموضوع وضعاً ، أمثلة منحوتة من كلمتين ، ولكننا نجهل ذلك، ولهذا يقول في أحد المواضع: (وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا الباب، أما الذي عندنا موضوع وضعاً ، فقد يجوز أن يكون له قياس خفي علينا

---

[٢٩] الاشتقاق والتعريب : المغربي : ص ١٣

[٣٠] مقاييس اللغة : ابن فارس : ٣٢٨/١

[٣١] العين : الخليل بن أحمد : ٦٩/١

[٣٢] فصول في فقه العربية : د. رمضان عبد التواب : ص ٣٠٣ ، مقاييس اللغة : ابن فارس : ٣٢٩/١

موضعه.. والله أعلم بذلك..)[٣٣]

وقد نبَّه ابن فارس على أن الرباعي لا يفسر دائماً بظاهرة النحت، لأنه على ضربين: (أحدهما المنحوت الذي ذكره، والضرب الآخر : الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس)[٣٤]

مثال ذلك قوله: (بلذم) إذا فَــرِق فسكت والباء زائدة، وإنما هو : لَذِم : إذا لزم بمكانه فَرَقاً لا يتحرك.

وقوله: (الدَّعْلَجة) وهو: الذهاب والرجوع والتردِّد، وبه يسمون الفرس: دعلجاً، والعين فيه زائدة، وإنما هو من الدَّلْج والإدلاج.

وقوله: (البرزخ): الحائل بين الشيئين، كأن بينهما بَرازاً، أي متسعاً من الأرض، ثم صار كل حائل برزخاً، فالخاء زائدة.[٣٥]

- وقد قسم الدكتور رمضان عبدالتواب النحت إلى أربعة أقسام :

١ - النحت الفعلى : وهو أن تنحت من الجملة فعلاً . مثل: (بسمل) إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - النحت الوصفي : وهو أن تنحت من كلمة واحدة، تدل على صفة بمعناها أو أشد منه، مثل : (ضبطر) للرجل الشديد من (ضبط) و(ضبر) بمعنى الشدة والصلابة.

٣ - النحت الاسمي : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً . مثل : (جلمود) من (جمد) و(جلد).

٤ - النحت النسبي : وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتي: " طبرستان" و"خوارزم" مثلاً، فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب فتقول: " طبرخزي" ونحو ذلك.[٣٦]

- إن الأمثلة التي ذكرها ابن فارس في باب النحت تؤكد :

---

[٣٣] المصدر السابق : ص ٣٠٤ ، والمقاييس : ١٤٦/٢

[٣٤] دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح: ص ٢٤٦-٢٤٧ ، والمقاييس: ابن فارس: ٣٢٩/١

[٣٥] مقايس اللغة : ابن فارس : ٣٣٣/١

[٣٦] فصول في فقه العربية : رمضان عبد التواب : ص ٣٠٢

(اعتقاده بأن السوابق والأواسط واللواحق بقايا كلمات قديمة مستعملة تناسب ما لمح في الحرف العربي من قيمة تعبيرية.

ونكاد لا نرتاب في أن ابن فارس أنس في الحرف العربي قيمة بيانية تعبيرية حين اجتزأ بحرف من الكلمة عن الكلمة كلها، وأطلق القول في الصلدم مثلاً وصفاً للناقة بأنه منحوت من (الصلد) و(الصدم)، فكأن الميم المزيدة في (الصلدم) إنما أخذت من (الصدم) وهي فيه الحرف الأخير، ولعلها أقوى تعبيراً وأشفاها بياناً، لذلك رمز بها واستبقى بها عنه، وألصقت بـــ(الصلد)، فتألفت كلمة جديدة من كلمتين اختذلت إحداهما وظلت الأخرى على حالها.[٣٧]

– وقد أشار سيبويه إلى النحت عندما قارن بين الأسماء فوق الثلاثية وبين الأسماء المنحوتة لدى النسب في الإضافة فقال:

(وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسماً بمنزلة جعـــفر ويجعلونه من حروف الأول والأخير، ولا يخرجونه من حروفهما ليعرف، كما قالوا: سبطر ، فجعلوا فيه حروف السبط إذا كان المعنى واحداً ، فمن ذلك عبشمي وعبدري)[٣٨]

– لقد كان للنحت أنصار من أئمة اللغة في جميع العصور.

أما لغويو العصر الحديث فانقسموا إلى طائفتين: فمنهم من يميل إلى جواز النحت والنقل اللفظي الكامل للمصطلحات، ومنهم من يرى : أن لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على درجة لغات أهل الغرب، لأن تقديم المضاف إليه على المضاف معروف عندهم فساغ لهم النحت.

وكلتا الطائفتين مغالية فيما ذهبت إليه ، فإن لكل لغة طبيعتها وأساليبها في الاشتقاق والتوسع في التعبير.

---

[٣٧] دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح : ص ٢٤٧ – ٢٤٨

[٣٨] الكتاب – سيبويه : ٨٨/٢

وما من ريب في أن القول بالنحت إطلاقاً يفسد أمر هذه اللغة، ولا ينسجم مع النسيج العربي للمفردات والتركيبات ، وربما أبعد الكلمة المنحوتة عن أصلها العربي.[٣٩]

[٣٩] دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح : ص ٢٦٦

الأصل في اللغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد لمعنى واحد ، ولكن ظروفا تنشأ في اللغة تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد ، أو تعدد المعاني للفظ الواحد .

يقول سيبويه : "واعلم أن من كلامهم : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[٤٠]

وقد أطلق علماء اللغة على الألفاظ الدالة على معنى واحد اسم "المترادفات" ، وأطلقوا على المعاني المتضادة اسم "الأضداد" ، وأطلقوا على الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة اسم "المشترك اللفظي" .

[٤٠] الكتاب – سيبويه – ١/٧ .

الـــتـــرادف

المترادفات هي: ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق . والترادف التام نادر الوقوع إلى درجة كبيرة ، فهو نوع من الكماليات ، التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر .

إذ هناك فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة ، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد .[٤١]

– وقد اختلف اللغويون العرب في وقوع هذا الترادف التام في لغتنا .

وأخذ بعض العلماء يجمعون الكلمات التي تدل على معنى واحد في تأليف مستقل مثل: كتاب "الألفاظ المترادفة" للرمّاني ، وكتاب "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه" للأصمعي

وظهرت طائفة من العلماء عارضت ذلك ورفضت وجود الترادف في العربية منهم : (ابن الأعرابي – وثعلب – وابن درستويه – وأبو علي الفارسى – وابن فارس وغيرهم) .

وفي ذلك يروي أبو علي الفارسي : (كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ إلا اسما واحدا وهو : السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند ، والصارم ، وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات) .[٤٢]

ويقول ابن فارس : (ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا : أن الاسم واحد هو السيف ، ومابعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى ..) [٤٣]

ومن بين الذين أنكروا الترادف : أبو هلال العسكري الذي ألّف كتاب "الفروق اللغوية" يقول فيه : "كل اسمين يجريان على معنى من المعاني ، وعين من الأعيان في لغة

---

[٤١] فصول في فقه العربية – د.رمضان عبدالتواب – ص ٣٠٩ – ٣١٠ – وأنظر : دور الكلمة في اللغة – أولمان – ٩٨

[٤٢] المزهر في علوم اللغة – السيوطي – ٤٠٥/١

[٤٣] الصاحبي في فقه اللغة – ابن فارس – ص ٩٦

واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثاني فضلا لا يُحتاج إليه ."[٤٤]

ومن أمثلة ما أورده العسكري في فروقه "الفرق بين المدح والتقريظ : إن المدح يكون للحي والميت والتقريظ لا يكون إلا للحي . وخلافه التأبين لا يكون إلا للميت ..."[٤٥]

ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى من فروق أحيانا ، فإننا لا يصح أن ننكر الترادف ، فإن إحساس الناطقين باللغة كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف ، فنراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى . [٤٦]

- وقد أورد الدكتور / رمضان عبد التواب – جملة من الأسباب التي يعود إليها كثرة المترادفات في لغتنا الفصحى : [٤٧]

١- تعدد أسماء الشيء الواحد في اللهجات المختلفة ، فكل لهجة تطلق عليها اسما ، ثم أدى احتكاك اللهجات بعضها ببعض ونشأة اللغة العربية المشتركة – في تلك الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية – إلى تمسك هذه اللغة المشتركة بعدد من تلك الألفاظ التي تدل على مسمى واحد في اللهجات المختلفة .

ويفسر لنا هذا السبب ، وقوع المترادفات في العربية المشتركة ، ومنها ما وقع في القرآن الكريم كورود : "حلف" و "أقسم" بمعنى واحد ، وورود "بعث" و "أرسل" بمعنى واحد .

وكثير من هذه الألفاظ الخاصة باللهجات ، لم يستطع النفاذ إلى استعمالات اللغة الفصحى ، وبقيت مقصورة على الاستعمال المحلي .

ويقول ابن جني في ذلك : "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد ، كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا وهنا"[٤٨]

---

[٤٤] الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ص ١١

[٤٥] الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ص ٢٧

[٤٦] فصول في فقه العربية – د.رمضان عبد التواب – ص ٣١٥

[٤٧] المصدر السابق – ص ٣١٦ – ٣٢١

[٤٨] الخصائص – ابن جني – ٣٧٤/١

٢- أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد ، ثم يوصف بصفات مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء ، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء ، وينسى ما فيها من الوصف .

وفي ضوء هذا السبب يمكن النظر إلى السيف وأسمائه المختلفة والتي كانت في الأصل صفات له كالصارم والباتر والصقيل ، وغير ذلك .

٣- التطور اللغوي في اللفظة الواحدة ، فقد تتطور بعض أصوات الكلمة الواحدة على ألسنة الناس فتنشأ صور أخرى للكلمة ، وعندئذ يعدها اللغويون العرب مترادفات لمسمى واحد.

من ذلك قول ابن جني "ومن ذلك قولهم : هتلت السماء وهتنت : هما أصلان ، ألا تراهما متساويين في التصرف ، يقولون : هتنت السماء تهتن تهتانا ، وهتلت تهتل تهتالا ..." [٤٩]

ومثل ذلك كلمات : "الحثالة – والحفالة – والحذالة – والحسالة _ والحصالة" للرديء من الشيء .

٤- الاستعارة من اللغات الأجنبية ، التي كانت تجاور العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ، من ذلك ما استعير من الفارسية : كالدمقس والإستبرق للحرير ، والبخت للحظ ، واليم للبحر . وغير ذلك .

- أما المحدثون من علماء اللغة فقد أجمعوا على إمكان وقوع الترادف ، لكنهم اشترطوا لترادف الكلمتين شروطا أهمها : [٥٠]

١- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما .

---

[٤٩] الخصائص – ابن جني – ٨٢/٢.

[٥٠] فصول في فقه العربية – د.رمضان عبد التواب – ص ٣٢٢ – ٣٢٣

٢- الاتحاد في البيئة اللغوية .

٣- الاتحاد في العصر .

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر .

- إن لظاهرة الترادف فوائد ، إذ أدت إلى :

"التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنثر ، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتّى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية ، والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتّى ذلك إلا باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ" [٥١]

- وتبلغ العربية حد الإعجاز وهي تعبر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة تراعي معها التفاوت في علوه وهبوطه ، وعمقه وسطحيته . فإذا كان صوت الإنسان الخفي قد يكون همسا أو جرسا أو خشفة أو همسة أو وقشة ، فإن صوت الماء إذا جرى خريرا ، وإذا كان تحت ورق أو قماش قسيبا ، وإذا دخل في مضيق فقيقا ، وإذا تردد في الجرة أو الكوز بقبقة ، وإذا استخرج شرابا من الآنية قرقرة" [٥٢]

- ولقد حرص العلماء على إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة ، فعقدوا فصولا لأشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها، ونقلوا مثلا أنه : لا يقال كأس إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان، ولا كوز إلا إذا كانت له عروة، وإلا فهو كوب"[٥٣]

- وللتوفيق بين رأي المنكرين والمؤيدين للترادف نأخذ بقول السيوطي :

"وينبغي أن يحمل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة ، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل" [٥٤]

وهذا ما أخذ به علماء الأصول إذ فسروا الظاهرة :

---

[٥١] المزهر في علوم اللغة - السيوطي - ٤٠٦/١

[٥٢] فقه اللغة - الثعالبي - ص ٣٠٨

[٥٣] دراسات في فقه اللغة - د. صبحي الصالح - ص ٢٩٨

[٥٤] المزهر في علوم اللغة - السيوطي - ٤٠٥/١

"بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر ، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية" [٥٥]

[٥٥] المصدر السابق – ص ١/٤٠٥ – ٤٠٦

الاشـــتـــراك الـــلـــفـــظـــي

عرَّف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه :

"اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" [٥٦]

- وقد أنكره جماعة من اللغويين ، منهم : "ابن درستويه" الذي يقول :

"فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحرف ، ثم جاءا معنيين مختلفين ، لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد ، يشتركان فيه فيصيران متفقي اللفظ والمعنى" [٥٧]

ويقول ابن درستويه في موضع آخر : "فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، لما كان ذلك إبانة ، بل تعمية وتغطية ، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل ...

وإنما يجيء ذلك : في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ"

كذلك أنكره "أبو علي الفارسي" فقال :

"اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ، ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل" [٥٨]

- كذلك لخص الدكتور رمضان عبد التواب عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية بما يلي: [٥٩]

---

[٥٦] المزهر في علوم اللغة – السيوطي – ٣٦٩/١

[٥٧] تصحيح الفصيح – ابن درستويه – ٢٤٠/١

[٥٨] المخصص – ابن سيده – ٢٥٩/٤٣

[٥٩] فصول في فقه العربية – د.رمضان عبدالتواب – ص ٣٢٦ – ٣٣٢

١- الاستعمال المجازي : فمثلا كلمة "العين" يدل في الأصل على عضو الإبصار في الإنسان والحيوان ومن معانيها : "المال الحاضر" و "الجاسوس" و "عين الشمس" و "عين الماء" ، وهذه كلها على التشبيه بالعين في الاستدارة ، أو سيلان الدمع منها .

٢- اللهجات : إن بعض المعاني المجازية نشأت بالتأكيد في بيئات مختلفة .
فقد روى أبو زيد مثلا : أن قبيلة "تميم" كانت تطلق كلمة "الألفت" على الأعسر ، وهو الذي يعمل بيده اليسرى ، أما قبيلة "قيس" فكانت تطلق هذه الكلمة على الأحمق .[٦٠]
وتحدث ابن السراج عن ذلك فقال : "إن الحي أو القبيلة ربما انفرد القوم منهم بلغة ليس سائر العرب عليه ، فيوافق اللفظ في لغة قوم ، وهم يريدون معنى لفظ آخر من لغة آخرين ، وهم يريدون معنى آخر . ثم ربما اختلطت اللغات فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء ، وهؤلاء لغة هؤلاء . فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص ، لكل معنى لفظ ينفرد به ، إلا أنه دخل اللبس من حيث لم يقصد"[٦١]

وروي أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فألفاه في متصيد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له فقال له الملك ثب أي اجلس وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل فقال ستجدني أيها الملك مطواعا ثم وثب من الجبل فهلك فقال الملك ما شأنه فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة، فقال أما أنه ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمّر (أي فليتعلم الحميرية).[٦٢]

٣- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة : إذ ربما كانت اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية لكنها ذات دلالة مختلفة . من ذلك : الحب بمعنى الوداد ، والحب هي

---

[٦٠] المزهر في علوم اللغة – السيوطي: ٣٨١/١

[٦١] الاشتقاق – ابن السراج – ص ٣٣ .

[٦٢] المزهر في علوم اللغة: ٢٠٣/١

الجرة التي يجعل فيها الماء ، والأول عربي أصيل ، أما الثاني فهو مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تماما للفظ العربي .[٦٣]

٤- التطور اللغوي : قد تكون هناك كلمتان ، كانتا في الأصل مختلفتي الصورة والمعنى ، ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما فاتفقت مع الأخرى في أصواتها ، وأصبحت الصورة المتحدة مختلفة المعنى .

مثال ذلك : "مرد : أقدم وعتا ، ومرد الخبز : لينه بالماء" [٦٤]

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو : "مرث" ففي المعاجم : "مرث الشيء في الماء : أنقعه فيه حتى صار مثل الحساء ، فقد أبدل صوت الثاء هنا تاء ، فصارت الكلمة "مرت"[٦٥] ثم جهرت التاء لمجاورتها للراء فصارت "مرد" وبذلك ماثلت "مرد" بمعنى : أقدم وعتا.

- والمشترك اللفظي لا وجود له في واقع الأمر ، إلا في معجم لغة من اللغات .

أما في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها ، فلا وجود إلا لمعنى واحد ، من معاني هذا المشترك اللفظي . وفي ذلك يقول "أولمان" :

كثير من كلماتنا لها أكثر من معنى، غير أن المألوف هو استعمال معنى واحد فقط، من هذه المعاني في السياق المعين، فالفعل "أدرك" مثلا إذا انتزع من مكانه في النظم يصبح غامضا غير محدد المعنى، هل معناه "لحق به ، أو عاصره أو رأى، أو بلغ الحلم" ؟." [٦٦]

- لقد أدت كثرة المشترك اللفظي في العربية ، إلى ذيوع ظاهرة "التورية" فيها ، وهي عبارة عن استخدام الألفاظ المشتركة ، في معان غير متبادرة منها .

كذلك استخدمه بعض الناس حيلة للخروج من اليمين المكروه عليها ، فقد ظن هؤلاء إذا أقسموا يمينا على شيء أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه

---

[٦٣] المعرب – الجو اليقي – ص ١٢٠

[٦٤] القاموس المحيط – الفيروز أبادي – ٣٣٧/١

[٦٥] الإبدال – أبو الطيب اللغوي – ١٥٩/١

[٦٦] فصول في فقه العربية – د.رمضان عبدالتواب ص ٣٣٤ وانظر : دور الكلمة في اللغة – أولمان – ص٥٤

السامع ، فإذا قال إنسان : واللـــــه ما سألت فلانا حاجة قـــط ، فإنه يقصد في نفسه من لفـــظ : "حاجة" معنى آخر غير الشائع لهذه اللفظة .
و "الحاجة" ضرب من الشجر له شوك ، وهذا هو المعنى الغامض ، الذي يقصد إليه الحالف هنا .[٦٧]

ولابد من الإشارة أخيرا إلى أن :
السياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد ، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن ، وإنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة ، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب .[٦٨]

[٦٧] لحن العامة والتطور اللغوي – د. رمضان عبدالتواب – ص ٧٨ .
[٦٨] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح – ص ٣٠٨

التضـــاد

الأضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما نافاه ، نحو : البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن .

وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد ، إذ كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين . [٦٩]

- ومن العلماء الذين أنكروا الأضداد :

١-"ابن درستويه" الذي قال : "النوء الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب : قد ناء إذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا : في إبطال الأضداد"[٧٠]

٢- و"ثعلب" الذي قال : ليس في الكلام ضد ، لأنه لو كان فيه ضد ، لكان الكلام محالا ، لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب وإن اختلف اللفظ ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد ، فالصارخ المستغيث والصارخ المغيث ، لأنه صراخ منهما ، والقرء : الوقت ، فاحتمل أن يكون للحيض والطهر . [٧١]

٣- و"ابن دريد" الذي قال : إن الأضداد لا تكون كذلك إلا في لغة واحدة ، فالشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، إنما هي لغة قوم .[٧٢]

٤- و"ابن الأنباري" الذي قال : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي ، أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب ، والمعنى الآخر لحيّ غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الأبيض في لغة حيّ من العرب ،والجون الأسود في لغة حيّ

---

[٦٩] الأضداد – أبو الطيب اللغوي – ١/١

[٧٠] المزهر في علوم اللغة – السيوطي – ٣٩٦/١

[٧١] شرح أدب الكاتب – الجواليقي – ص ٢٥١

[٧٢] جمهرة اللغة – ابن دريد – ٢٩١/١.

آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر . [٧٣]

٥- ومن المنكرين للأضداد "القالي" فقال : (الصريم : الصبح ، سمي بذلك لأنه انصرم عن الليل . والصريم : الليل لأنه انصرم عن النهار ، وليس هو عندنا ضدا)

٦- ومنهم "أبوالطيب اللغوي" الذي اشترط في الأضداد : أن تكون الكلمة بعينها تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها [٧٤].

- ولا يُعدُّ من الأضداد ما ترك اللغويون العرب الاستشهاد على أحد معنييه ، لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه استعمل بهذا المعنى ، مثل قولهم : إن "قسط" تعني : عدل أو جار ، فالمعنى الأول لا دليل عليه ، وأما الثاني : فقد ورد في قوله تعالى : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .[٧٥]

كما لا يُعدُّ من الأضداد الكلمات التي صحَّفها اللغويون أو حرَّفوها ، مثل :

(قال بعض العرب بردت من الأضداد ، يقال : برد الشيء على المعنى المعروف ، ويقال : برد الشيء إذا أسخنه ، واحتجوا بقول الشاعر :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا برِّديه تصادفيه سخينا . [٧٦]

وفيه تحريف لقوله : (بل رديه) .

- وهناك طائفة من كلمات الأضداد في العربية صحيحة ، لكنها تعود في أصلها للدلالة على معنى واحد ، لكنها دلت على التضاد لأسباب عديدة .

وقد جمع الدكتور رمضان عبدالتواب طائفة من العوامل التي يرجع إليها نشوء التضاد

---

[٧٣] الأضداد – ابن الأنباري – ص ١١

[٧٤] الأمالي – أبو علي القالي – ٣٢٢/٢

[٧٥] الأضداد – أبو الطيب اللغوي – ٤٥٥/١

[٧٦] الأضداد – ابن الأنباري – ٦٣

في لغتنا :[٧٧]

١- عموم المعنى الأصلي : فقد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاما ، ثم يتخصص في لهجة من اللهجات ، كما يتخصص في لهجة أخرى في اتجاه مضاد .

من ذلك : "الذفر" بمعنى الريح الطيبة والريح المنتنة ، ويبدو أن المعنى الأصلي للكلمة هو : "الريح" وهو أعم من الريح الطيب والخبيث ، وقد فطن إلى هذا ابن الأنباري فقال : "الذفر : حدة الريح في الطيب والنتن جميعا"[٧٨]

ومنه "الطرب" معناها : الفرح والحزن ، والأصل في هذا المعنى : خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجذع ، وقال ابن الأنباري : "الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه" [٧٩]

ومنه "السدفة" يذكر اللغويون أن تميما تطلق هذه الكلمة على الظلمة ، ولكن قيسا تطلقها على الضوء ، ومعنى هذه الكلمة في الأصل عام لأن : أصل السدفة : الستر ، فكأن النهار إذا أقبل ستر ضوؤه ظلمة الليل ، وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار [٨٠]

٢- التفاؤل : التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التعبير إلى حـــد كبير ، فإذا شاء المرء التعبير عن معنى سيء تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به ، وفـــــــر منها إلى غيرها ، فجميع الكلمات التي تعبر عن الموت والأمراض ، والمصائب والكوارث ، يفر منها الإنسان ويكني عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير[٨١]

هذه الظاهرة يطلق عليها اسم "اللامساس" .

من أمثلتها : "المفازة" معناها : المنجاة والمهلكة ، واشتقاق الكلمة من "الفوز"

---

[٧٧] فصول في فقه العربية – د. رمضان عبدالتواب – ص ٣٤٢ – ٣٥٢.

[٧٨] الأضداد – ابن الأنباري – ص ٨٨

[٧٩] المصدر السابق – ص ١٠٣

[٨٠] المصدر السابق – ص ٩

[٨١] في اللهجات العربية – د. ابراهيم أنيس – ص ٢٠٨

يؤكد أصالة المعنى الأول ، أما إطلاقها على المعنى الثاني ، فهو على سبيل التفاؤل .
قال أبو حاتم : وإنما قيل للعطشان : ناهل على سبيل التفاؤل ، كما يقال : المفازة للمهلكة على التفاؤل ، ويقال للعطشان : ياريان ، وللملدوغ : سليم أي : سيسلم وسيروى ونحو ذلك ..[٨٢]

٣- التهكم : إن عامل التهكم والسخرية من العوامل المؤدية إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى ضدها في كثير من الأحيان ، فأصل كلمة : "التعزير" : التعظيم ، غير أنها تستعمل في معنى التأديب والتعنيف واللوم تهكما واستهزاء بالمذنب . [٨٣]

٤- الخوف من الحسد : تلعب الكلمة دورا مهما في هذا الاعتقاد ، حيث يفرُّ المرء من وصف الأشياء بالحسن والجمال حتى لا تصيبها عين الحسود .
يقول ابن الأعرابي : "كانت امرأة لا يبقى لها ولد ، فقيل لها : نفِّري عنه ، فسمَّته قنفذا وكنته أبا العداء فعاش" [٨٤]
ومثلها "شوهاء" يوصف بها الفرس القبيح والجميل .
قال أبو حاتم : "لا أظنهم قالوا : للجميلة شوهاء إلا مخافة أن يصيبها عين"[٨٥]

٥- التطور اللغوي : قد توجد كلمتان مختلفتان لهما معنيان متضادان فتتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماما ، فتبدو كلمة واحدة لها معنيان متضادان .
من ذلك : "ضاع" يدل على الاختفاء والظهور معا ، فالأصل في المعنى الأول : ضيع ، وفي الثاني : ضوع ، ثم تطور الفعلان إلى صورة واحدة .[٨٦]

---

[٨٢] الأضداد – أبو حاتم السجستاني – ص ٩٩
[٨٣] الأضداد – ابن الأنباري – ص ١٤٧ .
[٨٤] مجالس ثعلب – ٤٦٦/٢
[٨٥] الأضداد – أبوالطيب اللغوي – ٤٠٨/١
[٨٦] الأضداد – ابن الأنباري – ص ٢٨٩

٦- المجاز والاستعارة : ومنه إطلاق "الأمة" على الجماعة والفرد ، فالفرد يقال له أمة على وجه المبالغة باستعارة لفظ يطلق عادة على الجماعة .

٧- احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين : هناك صيغ كثيرة تستعمل للفاعل أو للمفعول ، ومن هنا ينشأ التضاد في معاني هذه الصيغ .

من ذلك : صيغة "فعول" تستعمل بمعنى (فاعل) مثل : شكور وغفور ، وتستعمل بمعنى (مفعول) مثل : رسول بمعنى مرسل ، وقد وردت إلينا بعض الأمثلة بالمعنيين مثل : (ركوب ، بمعنى : الراكب والمركوب و (زجور) بمعنى : الزاجر والمزجور . [٨٧]

وصيغة "فعيل" بمعنى (فاعل) مثل : سميع وعليم ، وبمعنى (مفعول) مثل : كحيل بمعنى مكحول وجريح بمعنى مجروح ، وقد وردت أمثلة بالمعنيين مثل : "الغريم" بمعنى : الدائن والمدين و (التبيع) بمعنى : التابع والمتبوع .[٨٨]

وصيغة "مفتعل" وفيها يأتي اسم الفاعل واسم المفعول بصيغة واحدة ، من ذلك : "مختار - مرتد - مبتاع ...." .

- درس المستشرقون ظاهرة الأضداد في العربية : [٨٩]

منهم : "ردسلوب" الذي أرجع كثرة الأضداد في العربية إلى العوامل التالية :

١- ثراء اللغة غير العادي .

٢- التطور غير المشروط للمعاني .

٣- كثرة الاشتقاق من الأسماء .

٤- اختلاف اللهجات .

٥- الصنعة والتكلف والاختراع من قبل اللغويين .

---

[٨٧] الأضداد - ابن الأنباري - ص ٣٥٧

[٨٨] الأضداد - ابن الأنباري - ص ٢٠٣ و ٣٧٢

[٨٩] فصول في فقه اللغة - د. رمضان عبدالتواب - ص ٣٥٥ - ٣٥٧

ظواهر لهجية عربية قديمة

رُوي عن الأصمعي قال: " قال مُعاوية يوماً لجلسائه: أيّ الناس أفصح؟ فقال رجلٌ من السِّماط: يا أميرَ المؤمنين، قوم قد ارتفعوا عن رُتَّة العراق، وتياسَرُوا عن كَشْكشة بكر، وتيامَنُوا عن: شَنْشَنة تَغْلب، ليس فيهم غَمْغمة قُضاعة، ولا طمطمانيّة حِمْير.

قال: مَن هم؟ قال: قومُك يا أميرَ المؤمنين قُريش؛ قال: صدقتَ، فمن أنت؟ قال: مِن جَرْم قال الأصمعيّ: جَرْم فُصْحَى الناس."[٩٠]

جاء في المزهر للسيوطي: (كانت العربُ تحضر المَوسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية وقريشٌ يسمعون لغاتِ العرب فما اسْتحسنوه من لغاتهم تكلّموا به فصاروا أفصحَ العرب وخلَتْ لغتُهم من مُستبْشع اللغات ومُستقبَح الألفاظ.)[٩١]

فمن تلك اللغات (أو اللهجات) العربية القديمة:[٩٢]

١- **الاستنطاء** في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنْطي في أعْطِي. ومن شواهده قراءة (إنا انطيناك الكوثر). ويذكر رمضان عبد التواب أن هذا الإبدال شائع حتى اليوم في العراق، والتوزيع الجغرافي يوضح أن له علاقة بطرق القوافل من الجنوب إلى الشمال. وهذه الظاهرة ليست عامة في كل عين ساكنة جاورت طاء وإنما هو خاص بكلمة (أعطى) ومشتقاتها.

وقلب العين طاء ليس له تفسير صوتي لبعد مخرجيهما. ويربط رمضان عبد التواب هذه الظاهرة بما في اللغات السامية من مقابل للفعل (أعطى) فالفعل العبري (نتن) يقابل "أعطى" والفعل السرياني (نتل) يقابل "يعطي."

---

[٩٠] العقد الفريد: ٤٧٥/٢

[٩١] المزهر: ٢٢١/١

[٩٢] انظر: فصول في فقه اللغة. رمضان عبد التواب: ١٢٠- ١٥٣

٢- **التضجع**: يعزى إلى قيس، و لم يُفسر، وربما يعني التباطؤ والتمهـــل.وفي اصطلاحات ويطلق اصطلاح إضجاع الحركـــات في كتـــب النحـــو والقراءات على الإمالة، ولكنها لا تعزى إلى قيس وحدها، بل يشاركها فيه عـــامة أهل نجـــد.

٣- **التلتلة**: كسر حرف المضارعة: أن اِعلم أنت تِكتب، وتعزى إلى قـــيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب. أما أهل الحجاز وأعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيفتحون حرف المضارعة.
وهي ظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية.
ومما يدل على أصالة هذه الظاهرة: استمرار وجودها في اللهجات العربية الحديثة، ففي لغة التخاطب اليومي لا نزال نقول: (مين يِقرا، ومين يِسمع)

٤- **الرُّتة**: تعني قلب اللام ياء وهي عيب كلام لا يمكن أن يكون شائعا في لهجة كاملة، وتعني أيضا العجلة في الكلام، وقد تحدث عنها الجـــاحظ حين قال: (فإن من أهلها من يجعل اللام ياء بدل قوله: "اعتللت" يقول: "اعتييت")[٩٣]

٥- **الشَّنشنة** في لغة اليمن تجعل الكاف شيناً مطلقاً كلبَّيْش اللهم لبَّـــيْش أي لبيك. ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في عامية حضـــرموت، فيقولـــون: (عليش) بدلا من (عليك).

٦- **الطُّمْطُمانيَّة**: وهي إبدال لام التعريف ميماً. وتَعْرِض في لغة حِمْيَر وطيئ والأزد كقولهم: (طاب امْهَوَاء وصفا امجوُّ) : أي طاب الهواءُ وصفا الجوُّ.

---

[٩٣] البيان والتبيين للجاحظ: ٣٥/١

وهي ظاهرة لا تزال شائعة في بعض اللهجات العربية الحديثة: فكلمة (البارحة) تنطق: (امبارح).

٧- **العَجْعَجَة** في لغة قضاعة، يجعلون الياء المشدَّدة جيماً يقولون في تميميّ تميمِجّ.
وقد سهل إبدال الياء بالجيم اتحادهما في المخرج وهو الغار.
(ونجد عكس هذه الظاهرة وهو إبدال الجيم ياء فيقال صهريّ بد صهريج.)

٨- **العَنْعَنة** وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم وأسد. وهي قلب الهمزة عينا، وقد خصها ثعلب والفراء بأنّ المفتوحة في مثل قولهم: أشهد عنّك رسول الله.
أما السيوطي فلم يخصصها بأن المفتوحة وإنما أطلقها في كل همزة مبدوء بها فعزا إليهم قولهم: في أنك عنّك وفي أسْلم عَسْلم وفي أذُن عُذُن.
ولقب هذه الظاهرة مأخوذ من قولهم عنّ.
(وسبب القلب تجاور المخرجين فالهمزة حنجرية مهموسة والعين حلقية مجهورة.)

٩- **الفَحفَحة** في لغة هُذَيل يجعلون الحاء عَيْناً. وقد وردت به قراءة (عتى حين)، ويبدو أن هذا خاص بـ (حتى) بدليل عدم قلب (حين).
(وذُكر أنه يقابل (حتى) العربية (عد) في العبرية والآرمية والأكادية والسبئية.)

١٠- **القُطعة:** تعزى إلى طيئ، وهي قطع اللفظ قبل تمامه، فهي نوع من الترخيم ، مثل قولهم (يا أبا الحكا) بدل (يا أبا الحكم).

وذكر الدكتور رمضان عبد التواب أنها شائعة في مصر الآن في بعض الألفاظ مثل (ياولَ) بدلا من: (يا ولد)، و(سلخي) بدلا من: (مساء الخير).[٩٤]

١١- **الكَسْكَسة** وهي في ربيعة ومُضر وعزي أيضا إلى بكر وهوازن وتميم، وقد اختلفوا في طبيعة ذلك:

فيرى المبرد: أنها إبدال كاف المخاطبة سينا وهو قليل، أو إتباع كاف المخاطبة سينا فيقولون: أعطيتكِس.[٩٥]

وزعم الفراء: أنها إتباع كاف المذكر سينا عند ربيعة ومضر للتفريق بين خطاب المذكر والمؤنث عند الوقف.[٩٦]

١٢- **الكشكشة:** إبدال كاف المخاطبة في الوقف شينا أو إلحاقها شينا. وهي تعزى إلى ربيعة ومضر وإلى بكر وبعض تميم وأسد. ومن أمثلتها: (جعل الله البركة في دارش) و (ويحك مالش). ووردت في غير الوقف:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

وقد قرئ بها (قد جعل ربش تحتش سريا).[٩٧]

ويبدو أن ما حدث كما بين رمضان عبد التواب هو تغير الكاف في الكسكسة إلى حرف مزدوج من الكاف والسين تس يشبه الحرف الألماني في كلمة Leipzig ، وتغيره في حال الكشكشة إلى حرف مزدوج من الكاف والشين يشبه الصوت الإنجليزي ch في children. ويفسر هذا التغير بأنه ناتج عن قانون الأصوات الحنكية حيث تميل أصوات أقصى الحنك وهي الكاف والجيم غير المعطشة بمخرجها إلى نظائرها من

---

[٩٤] فصول في فقه العربية: ١٤٠

[٩٥] الكامل للمبرد: ٢/٢٢٣

[٩٦] المزهر للسيوطي: ١/٢٢١

[٩٧] الكامل للمبرد: ٢/٢٢٣

أصوات أمامية حين تليها الكسرة لأنها تجذبها قليلا إلى الأمام.
ولا تزال هذه الظاهرة موجودة في منطقة عسير فيقول أهلها: (أبوش وأمش) بدلا من (أبوك وأمك).

١٣- **الوتم**: قلب السين تاء عند بعض أهل اليمن حيث ينطقون الناس النات. ويمكن تفسير هذا الإبدال من الناحية الصوتية، فالحرفين متشابهين في المخرج لأنهما من الحروف الأسنانية اللثوية، كما يتفقان في الهمس والترقيق.

١٤- **الوكْم**: وهو عبارة عن كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل (كم) في لغة ربيعة وقوم من كَلْب يقولون: عليكِم وبكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة. وهذه ظاهرة حادثة بسبب المماثلة بين الأصوات المتجاورة، فقد تأثرت ضمة الكاف بكسرة الباء فجعلت مكسورة لتنسجم مع ما قبلها.

١٥- **الوهْم**: وهو عبارة كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل (هم) في لغة كلْب فيقولون: منهِمْ وعنهِم وبينهِمْ .
والفصحى تبقي الضم في مثل منهُم وصاحبُهم وقائدهُم إلا إذا وقع بعد فتحة قصيرة أو طويلة أو ياء مثل: بجانبهِم، راعيهِم عليهِم.

١٦- **اللَّخْلَخَانيَّة** تَعْرِض فِي لغة أعراب الشِّحْر وعُمان كقولهم: مَشَا اللّه كان يريدون: ما شاء اللّه كان. [٩٨]

[٩٨] فقه اللغة للثعالبي: ١٧٣ ، المزهر للسيوطي: ٢٢٣/١

أفصح العرب

وأفصح العرب قريش قال ابنُ فارس في فقه اللغة: باب القول في أفصح العـــرب أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقَزْوين قال: حدثنا أبـــو الحســـن محمد بن عباس الحشكي قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبيد اللّه قال: أَجْمَع علماؤنـــا بكلام العرب والرُّواة لأشعارهم والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومحالِّهم أن قُرَيْشاً أفصـــحُ العربِ أَلْسنَةً وأَصْفَاهُمْ لَغةً وذلك أن اللّه تعالى اختارَهم من جميع العرب واختـــارَ منهم محمداً ، فجعلَ قريشاً قُطَّانَ حَرَمه ووُلاَةَ بَيْته فكانت وفودُ العرب من حجَّاجها وغيرهم يَفِدُونَ إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريشٌ مع فصاحتها وحسْن لُغاتها ورِقَّة أَلْسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخَيَّرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لُغَاتهم وأصْفَى كلامهم فاجتمعَ ما تخَيَّرواْ من تلـــك اللغـــات إلى سلائقِهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصحَ العرب.[٩٩]

لغة القرآن الكريم

وروى أبو عبيد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمسٌ بلغة العَجُز من هوازن وهم الذين يقال لهم عُلْيا هـــوازن وهم خمس قبائل أو أربع منها سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونَصْـــر بـــن معاويـــة وثقيف.

قال أبو عبيد: وأحسب أفصحَ هؤلاء بني سعد بن بكر وذلك لقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش وأني نشأْتُ في بني سعد بن بكر.

وكان مُسْتَرْضعاً فيهم وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصحُ العـــرب عُلْيا هَوازن وسُفْلَى تميم.

وعن ابن مسعود: إنه كان يُسْتَحَبُّ أن يكون الذين يكتبون المصـــاحفَ مـــن مُضَر.

---

[٩٩] الصاحبي في فقه اللغة: ٥٢

وقال عمر: لا يُمْلِيَنَّ في مصاحفنا إلا غِلْمان قريش وثقيف.

وقال عثمان: اجعلوا المُمْلِي من هُذَيل والكاتبَ من ثقيف.

قال أبو عبيدة: فهذا ما جاء في لغات مضر.

وقد جاءت لغاتٌ لأهلِ اليمن في القرآن معروفةٌ، ويروى مرفوعاً: نزل القرآن على لغة الكَعْبَيْن كعب بن لُؤَيّ وكعب بن عمرو وهو أبو خزاعة.

وقال ثعلب في أماليه: ارتفعت قريشٌ في الفصاحة عن عَنْعَنَةِ تميم وتَلْتَلةِ بَهْرَاء وكَسْكَسَة ربيعة وكَشْكَشَةِ هَوَازن وتضجع [قيس] وعجرفيه ضبّة، وفسّر تَلْتَلَة بَهْرَاء بكسر أوائل الأفعال المُضَارعة.

وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمّى بالألفاظ والحروف: كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النُّطْق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانَة عمّا في النفس، والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ثم هذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَريٍّ قطّ ولا عن سكَّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا مِنْ لَخْم ولا من جذَام لِمُجاوَرتهم أهل مصر والقِبْط ولا من قُضاعة وغَسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأَزْدعُمَان لأنهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهِند والفُرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجّار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغةَ العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت أَلسنتهم والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاء وأَثْبَتها في كتاب فصيَّرها عِلْماً وصناعة هم أهلُ البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب.

الدلالة عنـــد اللغويين

لقد كان البحث في دلالة الكلمة من أهم ما لفت أنظار اللغويين العرب القدامى وأثار اهتمامهم .

ونلمح ذلك في الأعمال اللغوية المبكرة عندهم ، والتي تعد من صلب علم الدلالة (وإن لم يكن هذا المصطلح معروفا في ذلك العصر) .

من ذلك الكتب التي بحثت في معاني الغريب في القرآن الكريم ، وكتب الوجوه والنظائر ، والمعاجم الموضوعية ، ومعاجم الألفـــاظ .

ونجد أن تلك الدراسات المبكرة اللّغويين العرب نَمَّت جوانب كثيرة من الدراسات الدلالية التي تبلورت في العصر الحديث .

فنجد في تلك الدراسات مثلا :

١- محاولة ابن فارس (في معجم المقاييس) أن يربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
٢- محاولة الزمخشري (في معجم أساس البلاغة) التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.
٣- محاولة ابن جني (في الخصائص) أن يربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد.
٤- محاولات أخـــــرى نجدها في كتب مختلفة أمثال: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس – المزهر للسيوطي .

أولا : دلالة اللفظ على المعنى :

إن الحديث عن علاقة اللفظ بالمعنى مرتبط بنظرية أصل اللغة أهي توقيف أم اصطلاح ويشير ابن سينا إلى السمة الاجتماعية والقيمة الاصطلاحية إذ يقول : (والدلالة بالألفاظ إنما هي بحسب المشاركة اصطلاحية) .

ونذكر أن الجدل قد طال في أمر الدلالة ، هل هي توقيف وإلهام أم هي اصطلاح وعرف ؟ وأسهب السيوطي في المزهر في عرض آراء المتحاورين الذين كان يذهب جمهورهم إلى عرفية الدلالة ، ففي باب القول على اللغة أإلهام هي أم اصطلاح ؟ يقول ابن جني : (هذا موضع محوج إلى فضل تأمل ، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف) (١) [١٠٠]
وقد وضع تفسيرا للوضع اللغوي يوافق الآية الكريمة (وعلم آدم الأسماء كلها) بأن الله سبحانه أقدر آدم على أن واضع عليها .

- أما اعتباطية الدلالة فهي ظاهرة في جانبين في البحوث العربية القديمة :

١/ إن هذه الرمـــــــوز اللغوية (لفظية وكتابية) لا صلة بينها وبين مدلولها بشكل مادي أو لازم طبيعي ، وإنما تقوم الصلة على أساس العرف اللغوي الاجتماعي ،
وقـــــد أورد عبد القاهر الجرجاني عبارة دقيقة في هذا المجال عندما قال في دلائل الإعجاز : (مما يجب إحكامه أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال : (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد)[١٠١]

---

[١٠٠] الخصائص – ابن جني – ص : ١/٤٠ – ٤١

[١٠١] دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – ص : ٤٢

ويرى في موضع آخر أن الدلالة تغدو متداولة في كل لغة بهذا الترابط الذهني القائم على العرف بين الدالّ والمدلول ، وأنها لا تفاضل بين دلالة لفظ (رجل) على الآدمي في اللغة العربية والكلمة الدالة عليه في الفارسية مثلا ، لأن كلا منهما تؤدي وظيفتها ولها شرعيتها اللغوية في مجتمعها اللغوي.[١٠٢]

٢/ رفض جمهور الباحثين مقولة عباد بن سليمان الصيمري : (بأن الألفاظ تدل على المعاني بذواتها) ودليل فساده أن اللفظ لو دلّ بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية واللازم باطل ، فإننا لا نفهم الألفاظ الأجنبية العديدة للأمم رغم أنها تدل على أشياء نعرفها (فمن لا يعرف الانكليزية يسمع (Boy) ويكون أمامه طفل ولا يستطيع الربط بين الكلمة ومدلولها (طفل) إذ لا علاقة طبيعية بين الصوت في كلمـــــة وما يدل عليه ، وإنما هو عرفي .

وهاهنا نذكر الإشارة الهامة التي أوردها ابن سينا وأكدها الغزالي، وهي أن الأشياء في العالم متماثلة، وكذلك انطباع صورها في التصور الإنساني والخيال لدى كل منا ، أما الألفاظ والكتابة فهي مختلفة .[١٠٣]

وقد خصص ابن جني بابا لدراسة العلاقة بين الألفاظ والمعاني وتبيان المناسبة بينهما، فقال في باب: (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)[١٠٤]

(هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقَّته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته .

قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صرَّ ، وتوهموا في

---

[١٠٢] دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – ص : ٣٩

[١٠٣] علم الدلالة العربي – د. فايز الداية ص : ١٧ – ١٩

[١٠٤] الخصائص – ابن جني – ص : ١٥٢/٢ – ١٥٣

صوت البازيّ تقطيعا فقالوا : صرصر .

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على (الفعلان) : إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو: النقزان والغليان والغثيان . فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال .
ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثّلاه . وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو : الزعزعة والقلقلة والجرجرة ، ووجدت (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو : البشكى والجمزى .
ومن ذلك – وهو أصنع منه – أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب نحو : استسقى ، واستطعم ، واستوهب ... فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال) .

– **مناسبة حروف العربية لمعانيها :**[١٠٥]

لاحظ علماؤنا مناسبة حروف العربية لمعانيها ، وما نحوه في الحروف العربية من القيمة التعبيرية الموحية ، والكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبّرة ، وإثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد في كلمة ، كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركب ، وقد ذكر علماء العرب الأمثلة واحتجوا بالشواهد التي لا يسهل دفعها ، فقد مالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله في حالتي البساطة والتركيب ، وصورتي الذاتية والاكتساب .

أ) ففي حال البساطة : رأوا الحرف الواحد – وهو جزء من كلمة – يوحي بالمعنى المناسب سواء أكان في أول اللفظ أم وسطه أم آخره .
– فمما وقع في أول الكلمة : صعد وسعد ، فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك ، وجعلوا السين لضعفها لما لا

[١٠٥] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح – ١٤١

يظهر ولا يشاهد حسا .[١٠٦]

- ومما وقع في وسط الكلمة : الوسيلة والوصيلة ، والصاد أقوى صوتا من السين لما فيها من الاستعـــــلاء ، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة ، وذلك أن التوسل ليس له عصمة الوصل فجعلــوا الصــاد لقوتها للمعنى الأقـــوى ، والسين لضعفها للمعنى الأضعف .[١٠٧]
- ومما وقــع في آخـــر الكلمة : النضخ والنضح ، فالنضح للماء ونحوه ، والنضخ أقـــوى من النضـــــح، فجعلـــوا الـحـاء لرقتهـــا للمـــاء الضعيـــف، والـــخـــاء لغلظها لما هو أقوى منه.[١٠٨]

وإذا كان علماء العرب قد استشهدوا بالأمثلة السابقة على القيمة التعبيرية للحرف الواحد ، فما جاؤوا بشواهدهم تلك سدى ، بل اعتقدوا أن في تقديم ما قُدِّم منها وتأخير ما أُخِّر ، وترتيبها على نحو معين أسرارا مدهشة يعجب الباحث اليوم كيف تنبهوا إليها واستنبطوها ، ويكاد يسلِّم بها ولو استشعر فيها الكثير من التكلُّف .[١٠٩]

ب) في حالة التركيب : لاحظ العلماء القيمة التعبيرية للحرف مع أخيه في لفظ ثنائي ، والثنائية التاريخية تعود إلى تفسير نشأة اللغة الإنسانية بمحاكاة الأصوات الطبيعية كتقليد الإنسان أصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة ، يقول ابن جني :[١١٠]

(وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل) .

---

[١٠٦] الخصائص – ابن جني – ٥٥٣/١

[١٠٧] المصدر السابق – ٥٥٢/١

[١٠٨] المصدر السابق – ٥٥٠/١

[١٠٩] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح – ص ١٤٥

[١١٠] الخصائص – ابن جني – ٤٤/١ – ٥٥

وقد أفرد ابن جني بابا لتوضيح هذا الرأي بعنوان (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) وقد ذكرنا في صفحة سابقة تلخيصا لهذا الباب .

كما أشرنا في صفحة سابقة لرأي عباد الصيمري في هذا الباب الذي ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح .

وقد أشكل على بعض الباحثين إنكار الجمهور مقالة عبّاد ، وليس مردّ الخلاف في الحقيقة إلى وجود هذه المناسبة الطبيعية وعدم وجودها ، بل إلى ما يراه عبّاد من أن هذه المناسبة ذاتية موجبة بمعنى أنها لا تتخلَّف ولابد من وجودها وإن كنا أحيانا لا نستشعرها أو لا نفهمها ، وهذا ما يوضحه السيوطي:[١١١] (وأما أهل اللغة العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عبّاد أن عبّادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم.)

- **بين الدلالة الذاتية والدلالة المكتسبة :[١١٢]**

علينا أن نفرق بوضوح بين القيمة التعبيـــــرية الذاتية من نحو والمكتسبة من نحو آخر ، في كل من الحرف البسيط والأصل الثنائي والبناء الثلاثي والصيغ المزيدة على الأصول في استعمالها الوضعي الأول .

وأفضل طريقة لمعرفة الفرق بين القيمة الذاتية والقيمة المكتسبة للفظ ما ، تتمثَّل في تقصّي الخطوات المنسيّة التي مرَّ بها هذا اللفظ حتى تداولته الألسنة بمعنى خاص ودلالة معبرة .

وهذه الخطوات المنسية لا تلقي على اللفظ ما يكفي لتحديد اللحظة التي ولد فيها ، ولا لتعيين المدلول الذاتي الذي يناسبه بعد أن تم ميـــــلاده ، ولا لتبيان القرائن التي حملت الناطقين به على نقله من مفهوم إلى آخر ، أو على توليد معنى جديد من معناه

---

[١١١] المزهـــــر – السيوطي – ص ٤٧/١ –٤٨

[١١٢] دراسات في فقه اللغة – د. صبحي الصالح ص ١٦٨ – ١٦٩

الأصلي القديم .

وذلك يعني أن لكل لفظ نشأة وميلادا ، وأن المناسبة الذاتية لا تُلتمس إلا في اللفظ عند نشأته الأولى ، وأن هذه المناسبة فيما حدده الاستعمال من مدلولات ذاك اللفظ إنما تحمل على المعنى الأصل ، ولا يخفى حينئذ على الباحث أن المناسبة الأخيرة لم تنشأ مع اللفظ و لم تحضر ميلاده ، بل اكتسبت إيحاءها ودلالتها من كثرة الاستعمال.

ثانيا : أنواع الدلالات عند اللغويين :

١/ الدلالة الصوتية : وهي تنقسم إلى قسمين :

أ) الدلالة الصوتية الطبيعية : المقصود بها وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه .

ب) الدلالة الصوتية التحليلية : وهي ترتبط بتغير الوحدات لصوتية في اللفظ فيتغيّر المعنى تبعا لتغيرها ، بالإضافة إلى النبر والتنغيم .[١١٣]

- وقد تحدَّث ابن جني مطولا في الخصائص عن الدلالة اللفظية ، كما تحدث عن تغيّر الوحدات الصوتية وأثرها في تغير المعنى ، في بحث الاشتقاق الأكبر حيث فرَّق بين معان نتيجة تغيُّر وحدة صوتية في ألفاظ (قطم – قطف – قطع) .

وها هو – ابن جني – يؤكد ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني فيقول :[١١٤] (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئبّ عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبَّر بها عنها فيعدِّلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدِّره وأضعاف ما نستشعره . ومن ذلك : القد طولا ، والقط عرضا ، وذلك أن الطاء أخفض للصوت وأسرع قطعا له من الدال ، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولا) .

- كما أشار عبّاد الصيمري – من المعتزلة – إلى وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ

---

[١١٣] علم الدلالة بين النظر والتطبيق – د. الكراعين – ص ٩٣ – ٩٤

[١١٤] الخصائص – ابن جني – ٥٤٩/١ – ٥٥٠

ومدلوله وأورد بعض الألفاظ مثل : (خرير – حفيف – فحيح) .[١١٥]

٢/ الدلالـــــة الصرفية :

- تحدث ابن جني عن الدلالة الصرفية وسماها (دلالة صناعية) ، وقد قدَّم ابن جني هذه الدلالـــــة الصناعية على الدلالة المعنوية واعتبرها أقوى منها حيث يقول : (الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها)[١١٦]

- إن القيمة الصرفية توجّه المادة الأساسية وتضعها في مجال وظيفي معين ، فالدلالة الأساسية هي جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية : فـــ (طحن) تدل على حركة وضغط لتحويل الحبوب إلى مسحوق ناعم بالرَّحى ويكون حقيقيا مباشرا ومن ثم حمل الدلالات المجازيـــــة المتعـــــددة .

ويدخل هذا المفهوم في أبنية صرفية كثيرة ، ونلحظ فيها إضافة إلى هذه الدلالـــــة أمرا مكتسبا من الوزن نفسه أي معنى الوزن ، فالأفعال تُحدّد بحسب أوزانها الحدث والزمن وتُقرن بالفاعلين بعد (طحن ، يطحن ، اطحن) و (طحَّان) دالة على اسم الفاعل بصيغة المبالغة المتأدية إلى تحديد الحرفـــــة ، و(مطحون) اسم المفعول للشيء المطحون ، و (الطـــــاحونة ، والطحانة) تدلان على آلات الطحن التي تدور بالماء أو بسواه ، وبعـــــــــض الصيغ خُصصت دالة على أجزاء من الجسم ترتبط بوظيفة التحويل من خشن إلى ناعم ، فالطواحن (الأضراس كلها من الإنسان وغيره.) [١١٧]

---

[١١٥] علم الدلالة العربي – فايز الداية –ص ٢٠ – و : علم الدلالة – الكراعين – ص ٩٦

[١١٦] علم الدلالـــــة بين النظـــــر والتطبيق – د. الكراعين – ص ٩٧

[١١٧] علم الدلالة العربي – د: فايز الداية – ص ٢٠ – ٢١

- وقد ربـــــــط علمـــــاء العربية بين الصيغة والدلالة فذكروا أن صيغة (فعَّل) تدل على التكثير ، و(أفعل) تدل على الدخول في الشيء ، و (فاعل) على المشاركة .[١١٨]

- وتعرَّض الغربيون للدلالة الصرفية من خلال مفهوم (المورفيم) حيث فرّق (فندريس) بين نوعين من المورفيمات سمى أحدهما : دالّ الماهية ، والآخر دالّ النسبة ، فجذر الكلمة المكون من حروفها الأصلية يشكل دال الماهية ، والحروف الزائدة الأخرى التي تدخل على الجذر تشكّل دوالّ النسبة .[١١٩]

- ونجد عند البلاغيين دراسة لدلالة التركيب ، وبخاصة نظرية (النظم) عند عبد القاهر الجرجاني فنراه يقول : (وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا) .[١٢٠]

- وقد ربط الأصوليون بين الصيغة والحكم الشرعي ، فقالوا : إن فعل الأمر يدل على الوجوب مع عدم وجود قرينة تمنع ذلك ، كما قالوا : إن (الـــ) الجنسية إذا دخلت على الجمع أو المفرد تفيد العموم في مثل قوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)[١٢١]

٣/ الدلالـــــة النحويـــــة :

فرق ابن جني بين الدلالة النحوية والدلالات الأخرى بتوضيحه للدلالة النحوية حيث يقول : (يقـــــول النحويون : إن الفاعل رفع والمفعول به نصب وقد ترى الأمر بضد ذلك ، ألا ترانا نقول : ضُرِب زيدٌ فنرفعه وإن كان مفعولا به ، ونقول : إن

---

[١١٨] علم الدلالة بين النظر والتطبيق – د. الكراعين ص ٩٨

[١١٩] اللغة – فندريس – ص ١٠٦

[١٢٠] دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – ص ٣٥

[١٢١] علم الدلالة بين النظر والتطبيق – د. الكراعين – ص ٩٨

زيدا قام فننصبه وإن كان فاعلا)[١٢٢]

ونجد أن – ابن جني – يقسم الدلالة النحوية إلى ثلاثة أقسام : دلالة لفظية وصناعية ومعنوية ، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله فهذه ثلاثة دلائل من لفظه وصيغته ومعناه .[١٢٣]

- وقد سبق عبد القاهر إلى هذا المعنى حين قال : (إذا كان قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه المقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه)[١٢٤]
- وأشار علماء اللغة الغربيون إلى الدلالة النحوية أو التركيبية ، ومن هؤلاء : فندريس وتشومسكي وأولمان وكاتز الذي قال : (إن معنى الجملة لا يتأتى من معاني مفرداتها المعجمية فقط ولكن من العلاقات النحوية القائمة بين هذه المواد .) [١٢٥]

إذاً : فالكلمة تكتسب تحديدا عندما تحل في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية : الفاعلية ، المفعولية ، الحالية ، النعتية ...[١٢٦]

٤/ الدلالة السياقية (الاجتماعية)

وهي تلك الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي تبعا للظروف المحيطة .

---

[١٢٢] الخصائص – ابن جني – ص ١٨٤/١

[١٢٣] علم الدلالة – د. الكراعين ص ٨٣

[١٢٤] دلائل الإعجاز – الجرجاني – ص ٢٣

[١٢٥] علم الدلالـــــة – د. الكراعين ص ٩٩

[١٢٦] علم الدلالة العربي – د. فايز الداية ص ٢١

فاللغة ظاهرة اجتماعية ، والإنسان داخل المجتمع يحدد دلالات ألفاظه أثناء استعماله لمفردات اللغة تبعا للمقام الذي يتواجد فيه .[١٢٧]

- وعند الأصوليين ترتكز دلالة النص على السياق ، يقول الدكتور/ محمد أديب صالح : (والنص هو الذي يكون معناه الأصلي مقصودا من السياق .)[١٢٨]

- أما اللغويون : وعلى رأسهم ابن جني ، فيرى : أن اللغة ودلالات ألفاظها (أكثرها جار على المجاز) والذي يحدد المجاز سياق الحال أو استعمال المجتمع لها في موقف ما مرتبط بمكان وزمان.[١٢٩]

ومن هنا نشأت نظرية السياق : ويعد فيرث زعيم هذا الاتجاه (مع الإشارة إلى أن اللغويون العرب أمثال ابن جني – والجرجاني قد سبقوا إلى هذه النظريـــــة من عهـــــود طويلة) ، ويقصد بهذه النظرية استعمالها في اللغة ، ويصرح (فيرث) : إن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة ، وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها ، ومعنى الكلمة تتعدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها .

وهو يقسم السياق إلى أربع شعب :

١/ السياق اللغوي :

ومثّل له بكلمة Good التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـــ: أشخاص – أشياء مؤقتـــــة – مقادير ، فإذا وردت مع كلمـــــــة (رجل) كانت تعني الناحية الأخـــــــــــلاقية ، وإذا وردت وصفـــــــا لطبيب كانت تعني التفـــــــوق في الأداء ، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها : الصفاء والنقاوة .

---

[١٢٧] علم الدلالة – د. أحمد الكراعين – ص ١٠٠

[١٢٨] تفسير النصوص – محمد أديب صالح – ١٤٢/١

[١٢٩] علم الدلالة – د. الكراعين – ص ١٠١

٢/ السياق العاطفي:

يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا .

٣/ سياق الموقف :

يعني الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة (استعمال : يرحم لتشميت العاطس ، أو في مقام الترحم بعد الموت) .

٤/ السياق الثقافي :

يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ، فكلمة جذر لها معنى عند المزارع ، ومعنى ثان عند اللغوي ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات.[١٣٠]

ونجد في هذا الاتجاه أن قدامى اللغويين العرب قد تحدثوا عن أثر السياق في تحديد مدلولات الألفاظ . يقول السيوطي : (والسياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد ، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن ، وإنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة ، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب.)[١٣١]

وقد سبق عبد القاهر إلى الحديث عن السياق في نظرية (النظم) المعروفة ، حيث أكد في أكثر من موضع ارتباط الكلم بعضها ببعض ، والحكم على فصاحة اللفظة باعتبار مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها .[١٣٢]

---

[١٣٠] علم الدلالة – د. أحمد عمر مختار – ص ٦٨ ٠-٧١

[١٣١] المزهر – السيوطي ص ٣٧٦/١

[١٣٢] دلائل الإعجاز – الجرجاني ص ٣٦

– أما البلاغيون :

فقد تحدثوا عن فكرة المقام الذي هو الوجه الذي تتمثل فيه الظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال) .

إن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي والمعجمي لا يعطينا إلا المعنى الحرفي أو معنى ظاهر النص وهو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى .

وعلى ذلك يكون للمعنى الدلالي معنيان :

أ) معنى مقالي :

وهو مكون من المعنى الوظيفي (صوتي ونحوي وصرفي) + المعنى المعجمي وهو يشمل القرائن المقالية لفظية (العلامة الإعرابية والرتبة ..) ومعنوية (الإسناد – التعدية – التبعية ..) .

ب) معنى مقامي :

وهو مكون من ظروف أداء المقال ، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية ، إن المقام الذي يكتمل فيه الطابع الاجتماعي هو الذي يتحقق فيه وجود عناصر تجعل المقام مركبا لا موقفا بسيطا ، كالرجل الذي قال لزوجته : (أهلا بالجميلة) فالاحتمالات التي تحتملها هذه التحية تتنوع بتنوع المقامات الممكنة من مقام غزل إلى مقام توبيخ إلى مقام تعيير ، و لا يمكن لأي معنى منها أن يؤخذ مباشرة من المعنى المعجمي لكلمة (أهلا – أو – الجميلة) ولا من المعنى الوظيفي لهما ولا للباء التي ربطت بينهما في السياق ، وإنما يحتاج إلى اعتبار المقام بالضرورة .

٥/ الـــــدلالـــــة المعجميـــــة :

ويقصد بها المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة المرتبة ترتيبا معينا في لغة واحـــــدة أو أكثر .

والكلام عن الدلالة المعجمية يدفعنا إلى تناول المعنى الأصلي أو الوضعي أو الحقيقي

عند الأصوليين والبلاغيين واللغويين:

– أما الأصوليون :

فالحقيقة الوضعية في اصطلاحهم (هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في اللغة ، كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع ، والإنسان في الحيوان الناطق)[١٣٣]

كما تكلمـــــــوا عن الحقيقة الشرعية : (هي استعمال الاسم الشرعي فيما كـــــــان موضوعا له أولا في الشرع): ولما تعددت الحقيقة عندهم وضعوا لها حدا جامعا : (الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في الاصطلاح الذي به التخاطب)[١٣٤]

– أما البلاغيون :

فقد عرّفوا الحقيقة (هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة) .

– أما اللغويون :

فقد اختلف المْحدثون منهم في تحديد مفهوم الدلالة المعجمية ، ومفهومها غير واضح عند الباحثين العرب ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية شيء واحد .

كما اختلف الغربيون حول الدلالة المعجمية ، فمنهم من جعل دراسة المعنى المعجمي تتصل بثلاثة فروع هي علم الدلالة والمفردات وعلم المعاجم .

إن المعاني الموجودة في المعاجم عادة أكبر دائما من المعنى الذي يرد داخل سياق محدد ، لأن المعجم يعطينا القاسم المشترك بين الدلالات المتعـــــددة .

وأوضح (نيدا) : أن المعاني المعجمية المدلولية تشير في المقام الأول إلى السياق الثقافي المحدد.[١٣٥]

---

[١٣٣] الإحكام في أصول الأحكام – الآمـــــدي ص ٣٦/١

[١٣٤] المصدر السابق – نفس الصفحة

[١٣٥] علم الدلالة – الكراعين – ص ١٠٣ – ١٠٥